الحِمارْخانة

الكتاب : **الحِمارْخانة**

المؤلف : د. أحمد فَنْدِيس

الطبعة الأولى . القاهرة ٢٠٠٨

رقم الإيداع : ٢٦٩٤١ / ٢٠٠٧

الناشر : **شمس للنشر والتوزيع**

٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى. المقطم. القاهرة

ت/فاكس: ٢٧٧٢٧٠٠٠٤ ٠٢ (+٢) – ٠١٨٨٨٩٠٠٦٥(+٢)

www.shams-group.net

الغلاف : الفنان أمين الصيرفي

صورة الغلاف للمصور الإنجليزي Geoffrey T. Bell

الحِمارْخانة

د. أحمد فَنْدِيس



الإهـداء

إلى حَميرِ مصر

تقديم

كلما مررت بحمارٍ - أو مرّ هو بي - نظرت في عينيه ملياً . . فتجول في خاطري أفكار وأفكار. . .لماذا الحمار؟ ! . . . لماذا جعله العديد من المفكرين والكتاب محورًا لاهتماماتهم، وموضوعًا لكتاباتهم. . . لماذا (قال لبعضهم) ، ولم يقل للبعض الآخر، وماذا قال؟

ذات يوم تساءلت وأنا أنظر في عيني حمار :أليس له مخ كمخ الإنسان؟ ! لكنني سرعان ما أدركت أن الفرق بين المخين أن بأحدهما عقل؛ أحدهما ؛ !

ورغم حبي للحمار وحموريته، وكره البعض له ولصوته المزعج الذي يجعله يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم. . إلا أنني وجدت الكل يكتب عنه؛ حبًا أو كرهًا ؛ . . ولم يكتب عن الحصان مثلاً؛ رغم كونه من الفصيلة ذاتها ، ورغم أنه أجمل وأقوى وأرق صوتًا .

ولكن هل يدرك الحمار كل هذا؟ !

أحيانا أنظر في عينيّ الحمار فأرى في صمتهما ونظراتها المتجمدة أبلغ دليل علي رأي الحمير في بنى البشر. وقد تبين لي بعد طول النظر في أعين الحمير أن لبني الحمير "موقف" محدد من بني البشر، ورأي واضح في سلوكياتهم وأفعالهم، أعلنوه مرارًا وتكرارًا في "الحمارخانة"، والتكرار يعلم الشطار!

الحمارخانة...

مَلهاةُ مُبكية.. مأساةُ مُضحِكة.. كوميديا حزينة لا تعرف فيها أتضحك أم تبكي؟!.. أو يكون ضحكك كالبكاء... وإذا فعلت هذا أو ذاك، فعلى الآخرين، أم على نفسك، أم على الكل؟

على كل حال؛ أرجو أن تكون حميري قد أوصلت رسالتها.

د. أحمد فنديس

أستاذ جامعي مصري

bairouni2002@yahoo.com

بلغ المعلم "حُكشه" من العمر عِتِيًا . قرَّر التقاعد وتسريح صبيانه. لم يعد قادرًا على ممارسة مهنته الشاقة المُربحة؛ مهنة جمع القمامة؛ لكنه أيضًا كان غير قادر على مفارقة "عربجيته" فهو "عربجيّ" أبًا عن جَد. لذلك قرر استثمار "عربخانته" في مهنة قريبة من الحَمير بعيدة عن القمامة. قرَّر تحويلها إلى مضيفة لحَمير المنطقة. "جراج" حَمير أو فندق حَميريّ صغير من فئة "البرادع" الثلاث.

كانت العَرْبخانة تكفي بالكاد عربته وحِمارَيه: الكبير الأساسي، والصغير الاحتياطي. لم يكن الأخير يعمل بمعنى الكلمة. كان بمثابة حِمار "إستبن" مربوط باستمرار إلى جوار الكبير ليتدرب على السير بين البني آدمين، وعلى كيفية التعامل معهم. فالتكرار يعلِّم الشُّطَّار. لكنه حِمار والسلام. عمومًا لقد استراح المعلم منهما معًا بعدما باعَهما. ولو أنَّ فِراقهما عزّ عليه. فالعِشرة لا تهون إلا على "ابن الحا را . . . . ".



ولما كانت الليلة الأولى من ليالي الحِمارخانة؛ بدأت الحَمير التي "شرّفت" كأول زبائن في التعارف. كانوا خمسة، كل واحد منهم يجرُّ عربة "كارو" مختلفة عن الأخرى. الأول؛ يجر عربةً لبيع الفول المدمس. والثاني؛ عربة لبيع الخبز. الثالث؛ عربة لبيع الفاكهة. والرابع؛ عربة لجمع القمامة. أما الخامس وهو أسوأهم حظًا، فيجر عربة لجمع مياه الصرف الصحي "كسح مجاري"، بعد أن باعه صاحبه السابق الذي كان يمر على المقاهي والتجمعات يُنشِد بعض الأزجال على ربابته، ويتكسب بذلك قوت يومه، هو وحِماره الذي كان يصغي بانتباه لكل ما يقوله ذلك الزجَّال.

بعد التعارف وقبل النوم، اقترح حِمار عربة الفول المدمس أن يلقي إحدى النكات. انفرجت أسارير بقية الحَمير واستعدوا لسماعها فقال:

- كانت هناك مجموعة من البني آدمين عددها خمسة أفراد يعرف كل واحدٍ منهم نكتة واحدة فقط. يجتمعون كل ليلة ليسمعوا النكتة ذاتها من الشخص ذاته. ولما ملّوا سماع النكات بهذه الطريقة الرتيبة اقترح أحدهم أن يعطي صاحب كل نكتة لنكتته رقمًا. يقوله فيعرف الجميع النكتة فيضحكوا بدلاً من تكرارها كل ليلة.

- وبعدين. استحثه حِمار عربة الخبز على الانتهاء من نكتته لينام لأنه يستيقظ مبكرًا:

- وبعدين كل ليلة يجتمعوا ويقولوا نكتهم كلها:

واحد. خمسة. أربعة. اتنين. تلاتة. يضحك الجميع. فجأة قال أحدهم: تسعة.

- تسعة إزاي وهمه خمسة.؟... تساءل حِمار عربة الفاكهة!

- اللي حصل.

أكمل الحِمار ملقي النكتة، كل المجموعة لم تضحك إلا أحدهم أخذ يقهقه و"يرفِّص" برجليه، ولما سُئل عن سبب ضحكه قال: أصلي أول مرة أسمعها.

- بايخة!.

قال حِمار عربة الصرف:

- بس ممكن تفيدنا.

أردف حِمار عربة القمامة:

- إحنا كمان نِدّي أنفسنا نمر عشان نخفف عن كاتب القصة...

يعني أنا نمرة (١).

قال حِمار عربة فول مدمس:

- وبعدين.. بالترتيب اللي في الفقرة التالتة من القصة. نمرة (٢) لحِمار عربة الخبز، ونمرة (٣) لحِمار عربة الفاكهة، ونمرة (٤) لحِمار عربة القمامة، ونمرة (٥) لحِمار عربة الصرف الصحي.

رضي كل حِمار برقمه، وهنا اندفع حِمار عربة "المجاري" منشدًا:

كان ياما كان كان ياما كان

كان ياما كان كان ياما كان

العلما اجتمعوا ، واختلفوا

واحتاروا ف أصل الإنسان

قالوا ملاك قالوا شيطان

أو مخلوق بائس غلبان

وأخيرا اتفقوا ورضيوا

بالنسناس أصل الإنسان

راحوا للقرد يشوفوا حكايته

وازاي بقى أصل الإنسان

بصوا لقوه ماشي بيتنطط

وبيفسد في كل مكان

وبيسرق ، ينهب ، ويدمر

وينافق على كل لسان

عايش دايمًا ع الخلافات

ولا يعرفش يعيش في أمان

مُجرم، ندل، خسيس، وجبان

ولا يقدرشي عليه الجان

رجعوا العُلما يراجعوا بحوثهم

بعد ما عرفوا بالبرهان

إن القرد إتغير طبعه

ولا عادشى مخلوق غلبان

فجأة اكتشفوا بعد ما بحثوا

النسناس أصله: إنسان

وغضبي

وهنا قال حِمار رقم (١) :

- ينصر دينك، إنت شاعر ولا إيه؟ من دلوقتي اسمك "زَجَلول" .

- أنا حافظ كل الزجل اللي كان بيقوله صاحبي الأول، وما دام اسمي بقى "زَجَلول" فلازم كل واحد فيكو يبقى له اسم. . وبلاش حكاية النِّمَر دي. . إحنا ها نعمل زي البني آدمين ولا إيه؟!

وهنا اندفعت الحَمير نحو "زَجَلول" مهنئة بموهبته؛ فمطَّ شفتيه إلى الأمام شاكرًا ثم قال:

- انت اسمك "قِدْرة" (موجهًا كلامه إلى حِمار عربة الفول المدمس)

وانت لأنك طول النهار في وسط العيش (ناظرًا إلى حِمار عربة بيع الخبز) ها يبقى اسمك "خَميرة"

أما حِمار عربية الفاكهة فاسمه على وزن اسمي: "زغْلُول"

أما انت يا حِمار عربية الزبالة فأحسن اسم لك هوا "زَبَلُول".

وافق كل حِمار على الاسم الذي اختاره له "زَجَلول"

ونام الجميع استعدادًا ليوم عملٍ شاق.



ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة، بدأت الحَمير تعرف بعضها أكثر.

وبعد وجبة العشاء بدأ كل حِمار منهم يحكي ما مرَّ به من أحداث. . .

قال "قدرة" :

- سمعتم آخر نكتة عن الحَمير؟

- عاوزين نُكت عن البني آدمين، زهقنا من النكت اللي بتتقال عنّنا.

عقّبَ "خَميرة" :

- يقولون إن رجلاً دخل حديقة الحيوانات فوجدها كلها تضحك ما عدا الحِمار. ولما عاد في يوم آخر وجد العكس. فلما سأل عن السبب قال له الحارس إن القرد قال نكتة من أسبوع لم يفهمها الحِمار إلا اليوم.

- نكتة بايخة. قال "زَبَلُول" فيه بني آدمين عايشين في قضية بقالهم أكتر من خمسين سنة موش أسبوع، ومع ذلك لسه ما فهموهاش لغاية دلوقتي.

- على فكرة البني آدمين دول مُخهم على قدُّهم. تدخَّل "زغْلُول" في الحوار.

تصوَّر إنهم فاكرين إنهم بيتفرجوا على الحيوانات في يوم شم النسيم. دول همه اللي بيملوا الجنينة علشان الحيوانات هي اللي تتفرج عليهم.

- ما تفكرنيش باليوم دا. واحد قريبي هناك قال لي إن ريحة الجنينة في نهاية اليوم بتكون في غاية النتانة. طول النهار ياكلوا فسيخ ورنجة وبصل وطعمية ومخللات ويسيبوا أكوام زبالتهم، يفضل العمال يشيلوا فيها أكتر من أسبوع.

- لَيَّه قريب بياخُد يوم شم النسيم أجازه عارضة، هربًا من ريحة البني آدمين. أضاف "زَجَلول".

- أقول لكم أنا آخر النكت الحَميرية... قال "قدره":

يُحكى أن حِمارًا اسمه "حَمُّورة" ذهب إلى حِمار صديق له اسمه "حَمرْمَرْ" يشكو إليه حِمارًا ثالثًا اسمه "حِمارينو" دأب على سبِّهِ؛ فدار بينهما هذا الحوار:

- أشكو إليك صديقك حِمارينو.

- ماذا فعل؟ هل "رفص" لك حاجة؟

- لا أبدًا . إنما كل يوم الصبح ينادي عليَّه من "زريبته" مُنهقًا : يا حَمّورة، يا حَمّورة، وعندما أقول له نعم يقول لي: يا عبيط. . . هل عندك حل لهذا المُشكل؟

- الحل بسيط جدًا . قبل أن ينهق عليك مناديًا . نهق أنت قَبله. وعندما يرد عليك قل له: يا عبيط.

فرِح حَمّورة بهذا الحل الذي اقترحه حَمرْمَرْ. وبعد أن تناول عشاءً فخمًا من التبن والبرسيم، وانتفخ بطنه من الأكل، وصدره من الزهو بما سوف يفعله في الصباح الباكر بحِمارينو برطع ما شاء له البرطعة، ونام وهو يتعجل قدوم الصباح.

ومع أول ضوء ، وبعد أن سمع صياح أول ديك، نهض وعدَّل من بردعته ومطَّ شفته العُليا متثائبًا ونادى:

- حِمارينو. حِمارينو. . .

- من ينادي؟

ردَّ حَمّورة من "زريبته"

- أنا .

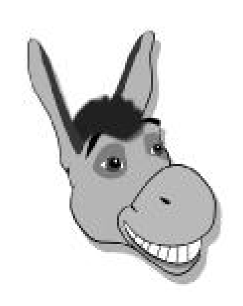
- انت مين؟

- أنا حَمّورة.

- ماذا تريد يا عبيط؟ ! !

نظرت كل الحَمير إلى "قِدرة" وقالوا في وقت واحد :

- ماذا تريد أنت يا عبيط؟ ! !



ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة دخل "زَبَلُول" على رفاقه، وهو في غاية "النرفزة" قائلاً:

- تصوروا يا إخواني إن البني آدمين بيرموا زبالتهم في الشارع. أنا زهقت منهم. ممكن أدفع لك خلو رجل وأجَّر أنا عربيتك. موجهًا كلامه إلى "زغْلُول":

- تدفع أربعة أمثال لأنك بأربع رجلين.

وهنا أدرك "زَجَلول" النهيق فقال بصوت غير رقيق:

إحرق قَشَّكْ .. ويا كاوتشكْ

هبِّب جوَّك .. لوِّث بيئتك

إرمي زبالتك .. طيِّن عيشتك

بكره ما تعرف .. تاخد نَفَسك

وغضبي.

- زمان كان عم "خاطر" صاحبي بيلم الزبالة من صناديق مقفولة قدام أبواب الشقق. دلوقتي الموضوع بقى سهل خالص. كل عمارة قدامها زبالتها أكوام أكوام.

عطس "خَميرة"

- مالك انت راخر؟ إيه مضايقك؟

- كنت زمان أجر عربية خبز نظيفة. خبزها مغطى لحمايته من الذباب. دلوقتي اتدهور حالي. ألفّ طول النهار، أجرّ عربية عليها عيش مكسر، تجارة جديدة.

- ليه؟ سأله "زَبلُول":

- فيه نسبة كبيرة من العيش ما بتتاكلشي علشان محروقة أو معجونة برمل. عم خاطر بيشتريها ويبيعها لمزارع الدواجن ومزارع الأسماك تاكلها الفراخ والسمك اللي بياكله الناس بعد كده.

- عم خاطر بيشتري العيش المكسر "المعفن" وساعات لما ما بيعرفشي يبيعه تعرف بيعمل فيه إيه؟؟ أردف "قِدره":

- أيوه يا سيدي. أصله عنده مطعم. بالليل لما يقفل الدكانة ينقع العيش الناشف دا في الميه ويخلطه بعجينة الطعمية.

وهنا أدرك "زَجَلول" النهيق فأنشد بصوت غير رقيق:

باحلم بيوم فيه عيش نضيف

أو حتى آكل كلّ الرغيف

وغضبي

- كفاية عكننة بقه، واسمعوا النكتة الحَميري دي. قاطعه "قدره" محاولاً إدخال السرور على قلوبهم قبل النوم:

- يُحكى أن البرسيم قد ارتفع سعره في يوم ما؛ فاجتمعت حَمير المدينة، وبعد أن تجاذبت أطراف "النهيق" قررت أن تذهب "بربطة المعلم" لتطالب رئيس رابطة الحِمارين بالمدينة بتوفير علفها:

ومرة أخرى أدرك "زَجَلول" النهيق فأنشد بصوت غير رقيق:

أنا الجحشُ في أحشائه التبنُ ناقصٌ

فهل وفر الحَمّارُ لي عَلفاتي.؟

– بيحب اللغة العربية.

– أصله طول النهار بيجرّ "عربية".

– بس يا حِمار إنت. دي حَمير بتحب لغة بلدها موش زي ناس لاويين ألسنتهم بكلام الخواجات، آل يعني عشان يبقوا متحضرين يتكلموا بغير لغتهم.

تدخَّل "خَميرة" في الحوار.

– ما فيش مشروع سياحي دلوقتي أو شركة أو منتجع إلا وله اسم أجنبي. ناقص يعملوا لنا إحنا كمان منتجع.

– ويسموه إيه؟؟

– حَميرلاند. أضاف "زَبَلُول":

– أو يبنوا لنا قرية سياحية ساحلية نفضل نرقص فيها في كل حفلة عَمّال على بَطّال، ونحرك رجلينا الأربعة في الهواء يمين وشمال، ببلاهة مع كل حِمار متخلف عقليًا يفضل ينهق لوش الفجر.

– إن أنكر الأصوات..

– ونسميها إيه؟؟؟

- قرية حِمارينا

- فيه إعلان عن منطقة سكنية في الطريق الصحراوي يقول: موش عارف إيه خُش يمين.. وموش عارف إيه دي اسم مترجم إلى العربية لضاحية سكنية أمريكية.

- عقدة الخواجة وتشويه للغة العربية بهذا الأسلوب الركيك.

- أصل من ضرورات التحضر والحداثة والعولمة أن نطلق على المنتجع "ريسورت" والحدائق "جاردنز" !!!

- فاكر "هوجة" الانفتاح الاستهلاكي وموجة ال- كو، واستبدال الأسماء العربية الجميلة بمفردات شاذة غريبة. لافتات معظم الشركات والمحلات التجارية، إما تحمل أسماء أجنبية صريحة أو مترجمة كـ"المول" أو تنتهي بالـ"كو" الشهيرة. حتى "المسمط" أصبح بعد الانفتاح "مسمطكو".

- أرأيتم لغة في العالم تُهان وتُمتهن كرامة رموزها ـ على ألسنة ناطقيها وعبر الوسائل الإعلامية الرسمية المختلفة المقروءة والمشاهدة والمسموعة ـ بمثل هذه الدرجة؟

- لأ.

- ممكن أكمّل؟ تدخَّل الحِمار صاحب النكتة.

- إتفضل يا سيدي.

- ما أن اقتربت الحَمير من منزل رئيس الرابطة حتى انبرى أكبرهم برأيٍّ مؤداه أن يذهب وفدٌ منهم لشرح وجهة نظرهم، فوافقت الحَمير كلها "بتنهيقة" جماعية.

وهنا أدرك "زَجَلول" النهيق؛ فأنشد بصوت غير رقيق:

اللي تشوفُه يا ريّس . . كله تمام وكويس

نمشي يمين لو تؤمر . . نمشي شمال لو تهمس

- نقطنا بسكاتك يا أخينا. وبعدين؟ أردف "زَبَلُول":

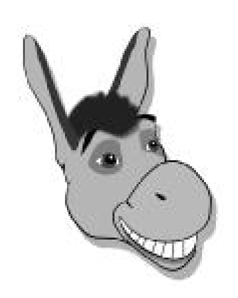
- وبعدين ذهب الوفد ليشرح لرئيس الرابطة مشاكل الحَمير فطال به الوقت عنده. ولما فرغ صبر الحَمير المنتظرة في الخارج، وبعد أن شرب وفد الحَمير عصير البرسيم المثلج بينما زملاؤهم يعانون حرارة الجو ولهفة الانتظار نهق حِمارٌ زهقًا؛ فتبعه كل الحَمير بتنهيقة جماعية رافضةً سلوك حَمير الوفد.

– وبعدين؟

بعد قليل خرج حِمارٌ يبدو عليه الإفراط في شرب عصير البرسيم. بدا وكأنه يترنح. نظر إلى الحَمير المنتظرة بابتسامة بلهاء وقال: لسّه. . . رئيس الرابطة ما فهمشي. . بنحاول نفهمه.

– دي موش نكتة. قال "زغْلُول" البني آدمين دلوقتي بيفكروا يعملوا محلات لعصير البرسيم. حتى البرسيم عاوزين يشاركونا فيه. إيه بقي اللي ها يعمل فرق بين الحِمار والبني آدم، لو هما الاثنين أكلوا البرسيم أو شربوا عصيره. .

وانخرط الحَمير كلهم في الضحك.



ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة دخل "زَبَلُول" على رفاقه وهو يهز رأسه:

- مالك بتهز "الجوهرة" كدا ليه؟

- إنت بتقول فيها! باين ها تبقي جوهرة فعلاً.

- ليه؟

- ما سمعتوش؟ البني آدمين عاوزين ياكلوا لحم الحَمير.

- يا ساتر يا رب! هما فعلاً بياكلونا لحم ويرمونا عضم، إنما ياكلوا لحمنا فعلاً.. أهو دا اللي موش ممكن أبدًا!!

- وموش ممكن ليه ماهم بياكلوا الكلاب والخنازير والضفادع والجراد، وقبل كل دا بياكلوا بعض.

- معاك حق، إنما إيه السبب؟

- قال لحم الحَمير مفيد لمرضى القلب والسكر والروماتيزم.

- ولاَّ يمكن علشان جنون البقر، وهَبَل الجاموس، والحَمير عاقلة لحد دلوقتي؟!

- لكن ممكن نتجنن فعلاً إذا قرروا يدبحونا وياكلونا.

- أقول لك أنا السبب.

- قول يا فالح.

- رغم طول السواحل وتعدد البحيرات؛ فالإنتاج من السمك متوسطه تسعة كيلوجرام للفرد.

- والمواشي؟

- سبعة مليون راس على سبعين مليون نفر، ومع ذلك ٢٥٪ من المساحة المحصولية بتتزرع برسيم!!

- يا نهار موش فايت! ربع المساحة المحصولية؟!

- تلاته مليون فدان برسيم وحياتك وموش مكفية.

- علشان كدا ساعات بناكل قمح.

- لأن الخُبز أرخص من البرسيم.

- ما هو لو العيش بيتاكل كله، ما كانوش استوردوا القمح من بره.

- السنة اللي فاتت استهلكوا حداشر مليون طن، منها أربعة مليون مستوردة، وبعد عشرين سنة ها تبقى تمانية مليون!

- واستصلاح الأراضي.

- موت يا حِمار على ما يجيلك القمح.

- حِمارتك العارجة تغنيك عن سؤال اللئيم.

- حِمارتك العارجة بعد كدا ها تبقى مكسَّحة أو مقطوعة الرجلين ها ياكلوا منين؟!

- انت بتفكرني بالمثل اللي بيقول: زقاق ضيق وحِمار رفّاص. طب ها يعملوا إيه؟!

- اللهُ أعلم. ذنبهم على جنبهم.

- علشان يبطلوا تجريف في الأرض الزراعية، والبناء عليها. وهنا اندفع زجلول منهقًا:

إقطع شجرة. ابني الحجرة. كُل من بّره

شيل الغيط . . وابني البيت

ارفع حيطة . . واعمل زيطة

بكره تقول . . يا ريتني يا ريت

- المهم إيه علاقة كل دا بأكل لحم الحَمير !

- أقول أنا ؟

- علشان الأمراض المشتركة بين الإنسان والبقر والجاموس أكتر من ميتين مرض، واللي بين الإنسان والحِمار خمسة أمراض بس.

- موش كدا وبس، دا حل مؤقت. بدل ما يزودوا الثروة الحيوانية أو يطوروا عمليات صيد السمك فكروا ياكلونا.

- إحنا اتنين مليون، وهما سبعين مليون، يعني كل خمسة وتلاتين بني آدم ياكلوا حِمار واحد. يا عيني علينا !

- معنى كدا إن إحنا ها نتاكل في يوم واحد ونِخلص ! ! !

- يعني ها يعملوا محلات لحم حمير. !

- حِماربرجر ! !

- ويدخل البني آدم ويطلب رغيف "حِمارشي" بدل الحواوشي.

- ويبقى فيه بقى مخ حِمار بالبيض ومعلبات حِماربيف.

- وحمارتاكي . . وجحشونالد .

- وكوارع حَمير ، ولحمة راس حَمير .

- الجوهرة؟ !

- عليَّ النعمة البني آدم أحمر مِ الحمار ! !

- عشان كدا بدأوا ياكلونا . . عرفت حكاية جزَّار الجيزة؟؟

- ودا إيه حكايته؟؟

- كان بيعمل كباب مدهش . . وبعدين اكتشفوا إنه من لحمنا .

- ربنا ينتقم منُّه .

- بعدين لما دخل الحجز فِ القسم، قام واحد من المساجين كان ها ياكله بسنانه.

- يا ريته عملها وخلصنا منه.

- وعمل له إيه؟

- قال له وهو بيضربه:

- بقالي عشر سنين باكل عندك. . . زماني أكلت جحشين تلاتة

- ولاَّ حرامية اسكندرية؟ !

- مالهم روخرين؟؟ !

- بالليل يتسحبوا ويسرقونا . . والصبح يدبحونا ويبيعوا لحمنا على أنه بتّلو.

- عرفت بقى إن البني آدمين مغفلين! !

- لا يمكن أتصور إن الدنيا تعيش من غير حَمير.

- حُكم القوي على الضعيف.

- إحنا الأقوى من البني آدمين.

- ليه؟

- عمرك شفت موتور قوة واحد إنسان؟ أو عشرة بني آدم. . ؟

- لأ.

- فيه مواتير قوة واحد حصان، واتنين حصان، واحنا والخيل عيلة واحدة.

- كلامك مضبوط.

ونامت الحَمير ليلة قلقة، خشية أن تجد نفسها في الصباح راقدة في ثلاجة الحاتي.

ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة دخل "قِدرة" على رفاقه، وهو في غاية العجب قائلاً: يا مثبت العقل يا رب.

- فيه إيه؟

- رحت أزور قريبي اللي في جنينة الحيوانات من شهر، لقيت رصيف جزيرة الشارع اللي بينها وبين حديقة الأورمان بيكسروه. ومن أسبوعين رصفوه، وإمبارح هدوه للمرة الثالثة.

وهنا أدرك "زَجَلول" النهيق فأنشد بصوت غير رقيق:

اللي معاه قرش محيَّرُه . . يشتري حمام ويطَيَّرُه

واللي معاه ألف محيَّرُه . . يبني الرصيف ويكسَّرُه

واللي معاه كذا مليون . . بعد ما يبني يغيَّرُه

وغضبي

- خد الأعجب . . عاوزين يهدوا جراج العتبة ، وبعدين يبنوه في باطن الأرض ، عشان يبنوا مكانه دار أوبرا بدل اللي اتحرقت . !

- اللي معاه مليار محيَّرُه . . . . يبني جراج ويدمَّرُه .

- أنا عندي حلّ للمشكلة دي .

- قول يا فالح .

- فاكرين الونش العملاق اللي اتسرق من كام سنة؟

- ودي حاجة تتنسي ! !

- نستورد عشرين تلاتين ونش من النوع دا ، وبعدين نحزم جراج العتبة بجنازير ، وهُبّ مرة واحدة الأوناش تخلع الجراج من الأرض .

- حزمني يا . . . ! ! !

- زي ما دكتور السنان بيخلع الضرس يعني؟

- تمام كدا .

- وبعدين يا دكتور؟

- وبعدين تفضل الأوناش معلقة الجراج في الهوا ، لغاية ما العمال تحفر حفرة على مقاسه ، وبعدين نستورد خبير أجنبي مرتبه كذا مليون دولار ، يقلب الجراج وهو في الهوا يخلي ، أبوابه في سطحه زي ما الترزي بيقلب البدلة القديمة .

وهنا أدرك "زَجَلول" النهيق فأنشد بصوت غير رقيق :

إهدم جراش . . وابني جراشْ

مادام فلوسه . . جايه بلاشْ

شيل اللي فوق . . وابني اللي تحتْ

بس المهم . . تكون ارتحتْ

وغضبي

- وبعدين؟

- ولا قبلين ، بعد ما ندفن الجراج نبقى نبني بقى دار الأوبرا فوقيه .

- ومين قال لك يا حِمار إنت إننا محتاجين دار أوبرا تانية، ما احنا عندنا واحدة.

- أُمال خليتوني أوجع دماغي وأفكر في حل المشكلة دي ليه؟

- لأنك حِمار.

ثم انهالت بقية الحَمير ركلاً في الحِمار صاحب الحل العبقري.



ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة، دخل "زغْلُول" على رفاقه وهو يكاد "يموت" من الضحك:

- ضحكنا معاك يا أخينا .

- سمعت واحد بيحكي لزميله مشهد من مسرحية عربية، كان فيه في مدينة عربية ضريح لأحد الأوليا ، سكنت قدامه راقصة حولت بيتها بعد شويه لملهي ليلي.

- وفيها إيه دي ! !

- سيبُه يكمّل يا أخينا . وبعدين؟

- بعدين الأهالي قدموا عريضة لحاكم المدينة علشان يشيلوا الراقصة من المنطقة. وبعد أخذْ وردّ ودراسة جدوَى . .

- إيه؟ شالوا الراقصة؟

- لأ شالوا الضريح.

- موش جديدة. مرة وزير شجاع خايف على لغته من الاندثار أعطى مهلة لأصحاب المحلات والمشاريع اللي ليها أسماء غير عربية علشان يغيروها.

- وغيروها لأسماء عربية قبل انتهاء المهلة؟

- لأ. غيروا الوزير.

ثم انخرط الحَمير جميعًا في ضحك... كالبُكاء.

- بمناسبة الضريح سمعتوا حكاية ابن عمي..؟

- ماله؟

- (وهو فطسان مِ الضحك) غرق امبارح فِ الترعة.

- كان بيعدي المانش ولا إيه؟

- ليه هوا "الجحش ف بطن أمه"؟

- سمع إن فيه واحد كان راكب مركب، بعدين غرقت ما لقاش إلا حصيرته، قام قعد عليها لغاية ما وصل البر.

- وبعدين؟

- وبعدين لمينا جِتّته في الحصيرة اللي غرَّقته، وتاويناه في تربته.

وهنا أدرك "زَجَلول" النهيق فأنشد بصوت غير رقيق:

يا مِيتْ ندامه عَ اللي . . عام ولا غرقشي

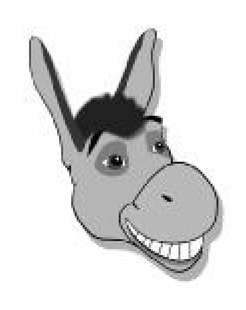
ركب الحصيرة وراح . . ولا رجعشي

يا ريت كل الحَمير . . اللي زيه يعوموا

فِ الدنيا ما نلاقي . . لا حِمار ولا جحشي

وهنا قالت الحَمير بصوتٍ واحد:

- وغضبي.



ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة أقبل "خَميرة" وقد انفرجت أساريره، لتكشف عن أسنان أهلكها أكل العيش المكسَّر، بينما تثاءب "زَبَلُول" فظهرت أسنانه التي كستها صفرة من يدخن خمسين شيشة في اليوم، وقال: البني آدمين دول أمرهم غريب. تصور سيارات ملاكي كتير، لوحات أرقامها أجنبية. نفسي أسأل حِمار من أيِ بلد تانية نمر عربيته بالعربي ولا بالأجنبي.

- الأرض ما عادتش بتتكلم عربي. سيد مكاوي مات خلاص. علّق "قِدرة" :

- الغريب إن الواحد فيهم يقدر يعمل الصَّح بمنتهي السهولة، ومع ذلك برضُه بيعمل الغلط. !

- وبعدين يقولوا علينا حَمير!!!

- هوَّا الحِمار الأمريكاني يفرق عن الحِمار الهندي مثلاً . ؟ أهو كلهم حَمير .

- يفرق كتير ، لأنه عندهم رمز لحزب سياسي .

- الانتخابات هناك كل أربع سنين بين الأفيال والحمير .

- الحمد لله .

- دي بتستحوذ على اهتمام العالم كله .

- العالم كله بين مؤيد للحمير ومؤيد للأفيال .

- يعني بيشجعنا نص العالم .

- تلاتة مليار بني آدم .

- الحمد لله إننا حمير .

- عارف أكبر عدد مننا عايش فين؟

- لأ .

- الصين فيها أكبر عدد من حَمير العالم، ١١ مليون حِمار من ٤٤ مليون في كل الدنيا .

- والبني آدمين . . ؟

- ستة مليار.

- البشر ستة مليار، واحنا أربعين مليون حِمار. !

- وعرفت منين كل المعلومات دي؟

- من شبكة "الإنترجحش" اللي في "الجحشيوتر".

- يخرب عقلك. قول كمان علشان خاطري.

- الجغرافيا ما فيهاش خاطر.

- تعرف إن معظم حَمير الدنيا هي حَمير دول العالم الثالث. الدول النامية يعني. حداشر مليون في الصين وخمسة في أثيوبيا وتلاته في باكستان، وزيهم في المكسيك، واتنين في مصر، وزيهم في إيران، ومليون ونص في الهند، ومليون في نيجيريا وزيه في البرازيل.

- يعني دول العالم الأول ما فيهاش حَمير؟؟!!

- فيها بس عددهم قليل. إيطاليا خمسة وسبعين ألف. فرنسا خمسة وعشرين ألف، وفيه دول ما فيهاش حَمير خالص.

- يبقوا ما يعرفوش حاجه. هاهاهاها.

- أنا جالي خاطر. إيه رأيك لو حصل العكس؟

- يعني يبقى في الدنيا ٤٤ مليون بني آدم وستلاف مليون حِمار .

- شيل من دماغك الخاطر الغبي دا . ها ناكل في بعضنا زيهم بعد ما ناكل كل الخضرة اللي على سطح الأرض.

- الحِمار ما لوش جنسية. كل حَمير العالم معتزة بحموريتها .

- تيجو نعمل دولة؟

- ونسميها إيه؟

- حِمارستان.

- ويكون لكل واحد مننا حق الاعتراض. يعني لو واحد مننا "رفَّص" الموافقة يتلغي القرار.

- دا نظام حَميري جديد بقى؟ .

- ليه؟

- لإن إحنا الكبار هنا ، وما فيش غيرنا في الحِمارخانة.

- والباقي؟

- حَمير.

استلقت الحَمير على ظهورها . حركت أرجلها في الهواء لا لتستحم بتراب أرضية الحِمارخانة، وإنما من فرط الضحك. ضحك الحَمير كلهم إلا "خَميرة" الذي كسا الحزن وجهه. سألوه عن السبب فقال:

– فيه شعوب بتنطرد من أوطانها وتتشرد. بتموت. بتُغتصب نساءها. بتتحرق بيوتها . بتتيتّم أطفالها، وفيه أقليات موش عارفة تعمل لها وطن من أساسه، وبقية البشر بتتفرج عليها . تشجب وتدين وبس، وعاوزينا نعمل دولة. . ؟! العيشة في الحِمارخانة أأمن.

وهنا أدرك "زَجَلول" النهيق فأنشد بصوت غير رقيق:

مِيَّا مِسَا مِيَّا مِسَا . . القعدة حلوة ومؤنسة

وشوش كتير مستأنسة . . لو تيجي ريح معاكسة

تلقى العيون متوجّسه . . وتشوف عقول متجبسة

تلقى العيال صبحت رجال! وتشوف رجال صبحت نسا!!

تقرا في جرنان المسا . . خبر الليالي مدغمسة

إجري ودوّر ف الوشوش أطرد هاموش يظهر هاموش!!

وعقول كتير ما بيفهموش . . تبغى الحقيقة الخالصة

إبحث عن اللي راح زمان . . عن حق ما نستناهوش

فضوها سيرة يا عرب . . وبلاش كلام ومنظره

لموا الورق. حا ارجع ورا . . بكفاية ذل ومسخرة

وبلاد كتير متنأورة . . ع اللي جرى

جلاد وجالس ع المنصة . . بيبص بصه

كل الخلايق ترتعش . . وبسبب كلامه ومنظره

في الحلق غُصة

هوا القانون هوا الحكم . . يا دي الندم

الخلق قامت روّحت . . إلا أنا

مستني حكم المحكمة

شيلوا السلاح. . فوقوا بقَى

يمكن في يوم تتشوقوا . . ومن جديد تتفوقوا

ما تأوأوا . . ولا ييجي يوم تتهزأوا

. . . . .

و . . . تبدل ضحك الحَمير بكاءً مريرًا .

ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة دخل "زَبَلُول" على زملائه "متعنتظًا" ثم قال: ممكن أقول نكتة. . مرة واحد طبيب بطري التحق بالسلك الدبلوماسي أعطوه الحصانة "الدبلوماشية" ها ها ها.

- بايخة. عاوزين إحنا كمان حا صا نا.

- حصانا عليك يا رب.

- إنت ها تشحت ولا إيه؟!

- بمناسبة الحصان النهارده سمعت واحد بيقرا لصاحبه قصة حلوة.

- احكيها لنا لو سمحت.

قال "زَجَلول":

- إخواني الحَمير إليكم هذه القصة التي أريد رأيكم فيها:

اليوم هو الرابع على التوالي من أيام إحدى الموجات شديدة الحرارة التي أشعلت سماء المدينة، وجففت حلوق سكانها. وهو أيضًا يوم السوق الأسبوعيّ. أسفلت الشارع يكاد يشتعل من حرارة الجو، والدجاج داخل الأقفاص يلهث، وكأنه قد أنهي لتوه سباق احتراق ضاحية. والأوز في الأقف-اص المجاورة يصدر أصواتا ترجمتها. إذبحني وأرحني من هذا اللهيب.

من بعيد تقترب عربة كارو محمّلة بثمار البطيخ يجرها حصان أوشك أن يحال إلى المعاش. يمسك بمقودهِ "عربجيّ" يتصبب عرقًا وسبابًا. يسُب الحصان بأقذع الألفاظ. مرَّة يوجهها لأمه وأخرى يصبها على أبيه. ولا مانع من أن يعممها على جنس الحصان برُمته:

– "حا يا حصان يا بن الـ. . ."، "شِي يا حيوان يا ابن الـ. . .".

ترقرق الدمع في عيني الحصان. فلا تدري أهو بسبب حرارة الجو، أم هي دموع عجزٍ عن رد غيبة والديه اللذين يسُبهما هذا "البني آدم". ؟

اصطدم حافر الحصان بزلطة بارزة في أسفلت الشارع. انطلقت شرارة نتيجة الاصطدام، أشعلت شمعة احتراق محرك قسوة قلب العربجيّ. مالت العربة

للأمام فتدحرجت بعض الثمار. كُسرت إحداها. ركع الحصان على قدميه الأماميتين وكأنما يستدر عطف العربجيّ.

استجاب العربجيّ لتوسلات حصانه بإلهاب ظهره بوابل من ضربات سوطه.

غاب الحصان عن وعيه والعربجيّ لا يزال يلهب ظهره بالسوط. تدخل بعض المارة وأقنعوا العربجيّ بالكف عن جَلد حصانه. "حرام عليك دا حيوان أعجم" قالها أحدهم مستنكرًا فعلة العربجيّ.

أفاق الحصان بعد قليل على أيدي بعض المارة تربت على ظهره. بينما اتجه "العربجيّ" نحو الرصيف ليجمع أجزاء البطيخة المكسورة.

نهض الحصان واقفًا. أعاد العربجيّ تثبيت "عريش" العربة. الحصان يكاد يموت عطشًا، والعربجيّ يزدرد أجزاء البطيخة المكسورة كحِمار جائع.

انتظر الحصان أن "يبل" صاحبه "ريقه" بجزء من البطيخة. نظر العربجيّ نحوه في ازدراء وهو يزدرد ما تبقّى منها. ظن الحصان أن صاحبه يطمئن عليه، لكنه لم يكن يدري أن عليه الاستعداد لاستئناف السير.

التهم "العربجيّ" الأجزاء الحمراء من البطيخة، واقتربت أسنانه من قشرتها.

- زيِّ بعضُه. قال الحصان لنفسه. القشر يمكن أن يرطِّب جوفي في هذا الجو الخانق. لا بُد أن صاحبي قد نسي أن يعطيني جزءًا من البطيخة. حسنًا الأحمر له والأخضر لي.

وبينما الحصان في حواره مع نفسه. أطاح العربجيّ بقشر البطيخ بعيدًا. ثم. أمسك بالمقود ليستأنف سيره وهو يقول: " . . حا . . . . شِي يا حصان يا بن الـ. . . . "

- هيه إيه رأيكم؟

- موجودة في جرنان إيه القصة الحلوة دي؟

- لا دي قصة من مجموعة قصصية لكاتب الحِمارخانة.

- حبيبنا الدكتور!!

- وحبيبي أنا كمان. إيه رأيكم؟

- رأيي إن كاتب القصة عاوز يقول؛ إن سلوك الحيوان أحيانًا يكون أرقى من سلوك بعض البشر.

- كنت ها أقولها. . علّق "زغْلُول":

- وإن "العربجي" محتاج دورة في جمعية الرفق بالإنسان.

ونامت الحَمير وهي ترجو أن يُصاب "العربجي" بإسهال حاد.

ولما كانت الليلة التاليـة من ليـالي الحِمارخانـة رفص "زغْلُول" باب الحِمارخانة وهو في غاية الأسى قائلاً: سمعتوا عن موجة حوادث الاغتصاب اللي حاصلة الأيام دي؟

- هوَّه اغتصاب بس. قال "خَميرة" .

- عمرك سمعت إن حِمار اغتصب حِمارة؟

- أبدًا .

- عمرك سمعت إن حِمار أخد رشوة من حِمار تاني؟

- أبدًا .

- عمرك سمعت إن حِمارة اتفقت مع حِمار عشيقها على دس السم في برسـيم الحِمار جوزها ، أو خلعته علشان يخلا لهم الجو؟؟؟

وهنا أدرك "زَجَلول" النهيق فغني بصوت غير رقيق:

وقفتْ والورقة بيديها . . تتشمت في الزوج المخلوع

قالت يا زوجي جا يومك . . وحياتك لتموت م الجوع

أهي جاتني الفرصة عشان اسيبك . . واتجوز حنفي النعنوع

دا حنفنف راجل بيهلب . . وبيكسب ألف ف أسبوع

تمنعني اني أسافر برّه . . مين قال لك سفري ممنوع

اتفضل وريني شطارتك . . أهو سفري أصبح مشروع

موش خدت اللي دفعتو لمهري . . بالبلغة يا شلبي يا جربوع

وغضبي

– عمرك سمعت إن حِمار خان بلده، واشتغل جاسوس لحساب حِمارخانة تانية؟

– أبدًا.

– الحمد لله إن ربنا خلقنا حَمير.

– حَمير حَمير بس نعيش.

– إنت لسه زعلان إن ربنا خلقك حِمار؟

– أبقى "حِمار" لو زعلت، بعد ما عرفت كل اللي قولتوه ده.

- المفروض إنك تفرح.

- عندي سؤال لو سمحتم. أراد "زَبَلُول" أن يغير مجرى الحوار.

- قول يا سيدي.

- هل هناك علاقة بين الإمبريالية والحَميريالية.

- ما فيش فرق. دي استعمار ودي استحِمار.

- بلاش تتكلم في السياسة.

- وليه ما تتكلمشى. ما تعرفشي إن الحِمار هوَّا رمز حزب سياسي في أمريكا ذاتها.

وهنا أدرك "زَجَلول" النهيق فغنى بصوت غير رقيق:

عاشت الأسامي . . يا عمي سامي

كان جد جدك . . أصلاً حرامي

شيل عني همي . . واتجوز أمي

أقول يا عمي . . يا أمريكاني

إديني قمحك . . خليني أسامحك

ع اللي عملته . . ف ولاد عِمامي

كان إيه رماني . . إيه غير جناني؟ !

خلاّك بسرعة . . ساكن مكاني

وما حد غيرك . . هزأ كياني

لا ح اقول لا كاني . . ولا حتَّى ماني

حرمت أقاوح . . ما اعملش ناصح

أصل الغباوه . . مغلباني

- الله الله . . إيه الحلاوة دي .

- وكمان البشر بيستغفلوا الحَمير ، ويستخدموهم في الاغتيالات السياسية .

- مرة واحد عسكري كان راكب حِمار في دولة شرقستان ، بعدين انقلب من على الحمار خرجت الجرايد تاني يوم عناوينها كلها : انقلاب عسكري في شرقستان .

- ممكن تتكلم جد. أنا بقى نفسي أعرف؛ هما ليه اختاروا واحد مننا رمزًا لحزبهم؟

- شغل مخك.

- وانا لو كان عندي مُخ كنت بقيت حِمار.

نهق الجميع ضحكًا.

- فيه وكالة إعلانات اسمها حَميريكانا.

- شفت لها حاجة؟

- شفت لها امبارح إعلان عن تبن مستورد.

- ألف نيلة ونيلة.

- يبقى انتهى عصر الاستعمار، وبدأ عهد الاستحِمار.

- تتكلم في السياسة عشان بعض البني آدمين ليهم "مواقف"، واحنا برضك لينا "مواقف".

- آه. دا هنا بقى مربط البشر.

- وإيه بقي مظاهر الاستحِمار في نظرك؟

- لما واحد يلبس قميص مرسوم عليه علم دولة تانية غير بلده أو يلزقه على عربيته، أو يسمح لأطفاله بتزيين دراجاتهم بعدد كبير منه. عمرك شفت حِمار لابس بردعة عليها علم دولة غير بلده؟

- أبدًا.

- ولاَّ واحد يفضل طول النهار يسمع مطرب مخنث لا هو راجل ولا هو ست، ومتهم باغتصاب الأطفال أحباب الله.. ولا هوش فاهم كلمة واحدة من اللي بيقوله؟. المهم إن المطرب دا بالذات مرة قال إنه لو كان يعرف إن الناس دول بيسمعوه كان بطَّل يغني. ومع ذلك بعض شبابهم لابسين قمصان عليها صورته.

- عقدة الخواجة.

- حتى ماتشات الكورة بيجيبوا لها حكام أجانب.

- تقليد أعمَى وحياتك. في اللبس والأكل والفن. مع إن اللي بييجي من الغرب ما يسر القلب.

- دا معناه عدم انتماء.

- يعني ممكن نلاقي مطاعم فيها وجبات دريسبرجر ومشروبات برسي كولا.

- إنت ها تعمل زيهم ولا إيه؟ ! ماله الكشري والعرقسوس؟

- الحمد لله إننا ما بنسمعشي أغاني الأيام دي.

- وحتى لو سمعناها موش ممكن نفهمها .

- طبعًا لأن اللي بيغنوها نفسيهم موش فاهمين همه بيقولوا إيه

نهق الجميع ضحكًا .

وهنا أدرك "زَجَلول" النهيق فهتف بصوت غير رقيق :

كُل البيتزا واسكت . . كل البيتزا ونامْ

واوعى ترفع صوتك . . يزعل عمك سام

اتغدى بهامبورجر . . واشرب بيبسى تمام

وافطر بالكنتاكي . . انت ف عهد سلام

إلبس جينز مهربد . . واسرح ف الأحلام

واسمع دونّا ومايكل . . على طول الأيام

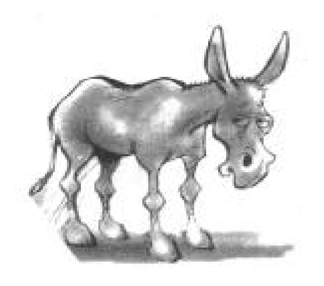
واشبع رقص ومغنَى . . ولحم طاووس ونعام

وانسَى العدس أبو جبّه . . بكفاية أوهام

كله تمام دلوقتي . . انت ف عهد سلام ! !

وغضبي

وانقلب الضحك إلى بكاء مرير .



ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة أقبل "زَجَلول" وهو يبكي بكاءً مُرًا فوجد مأتمًا . رفاقه الأربعة الذين سبقوه إلى الحِمارخانة يجلسون وقد غطت الدموع أعينهم. وكل منهم "يعزي" الآخر

- تبقوا سمعتوا باللي حصل. قال الحِمار الداخل من بين دموعه:

- كل الدنيا سمعت.

- الله يرحمهم جميعًا .

- تصور لغاية دلوقتي موش عارفين سبب وقوعها .

- ولا ها يعرفوه.

- ليه؟

- انت موش عارف هي وقعت فين؟ !

- انت اللي موش عارف هي وقعت ليه.

- قضاء وقدر ! !

- طائرة تتوقف محركاتها ويتعطل جهاز طيرانها الآلي وتهبط فجأة وبسرعة تقترب من سرعة الصوت من ارتفاع ١١ كيلومتر إلى ارتفاع ٦ كيلومتر وتتحطم إلى عشرتلاف حتة وتقول لي قضاء وقدر. إنت فاكرني حِمار ولا إيه؟ !

- الصندوق الاسود ها يبين كل حاجة.

- ابقى قابلني.

- دا كان فيها ٣٣ ضابط راجعين من مهمة تدريبية.

- أيوه عرفنا من وكالات الأنباء الأجنبية. . كالعادة.

- تصور يا أخي إن كل وسائل الإعلام الدولية تتَّبعتْ الحادث فور وقوعه في حين كان تليفزيوننا الميمون بيذيع مباراة كرة سلة أمريكية.

- وأمريكية كمان ! ! !

- علشان الناس تنسى وتتسلى.

- بس الحمد لله.

- على إيه؟

- على أنهم ـ كَثّر خيرهم ـ لم ينسوا أن ينثروا الزهور فوق وجه المحيط.

وهنا أدرك "زَجَلول" النهيق فهتف بصوت غير رقيق:

يا لمونا ودوخيهم .. بالمعونا ولعّبيهمْ

بالكاكولا ودلّعيهم .. جينزك أزرق لبّسيهم

انفخيهم، بعتريهم .. اجمعيهم واطرحيهم

اضربيهم هزّئيهم .. بس اوعي تجوعيهم

* * *

سابوا دينهم باسوا إيدك .. قلبك ابيض، ارحميهمْ

على حِجرك قعديهم .. من صوامعك رضعيهم

وبصوابعك فرقيهم .. كنتكيهم، كَوْكليهم

برجريهم فيجريهم .. عَولميهم ، علميهم

ينسوا حاضرهم ماضيهم .. بس دايمًا شبعيهم

* * *

إضحكي على طول عليهم . . وبدولارك مرمطيهم

لو أرادوا يحيدوا شعرة . . عن طريقك رجعيهم

وان ف مرة نسيوا روحهم . . بالبُلغ قومي إضربيهم

هما أخدوا إن انك انتي . . كل يوم بتأكليهم

* * *

ركعيهم . . سجديهم . . بيتك ابيض حججيهم

من ترابك يميهم . . وف معونتك كفنيهم

ادبحيهم واسلخيهم . . بس إياكي تسيبيهم

هما شاريينك بروحهم . . مدي ايديكي وخديهم

فشكليهم واقسميهم . . فرقيهم ،، مزقيهم

إعملي ما بداك فيهم . . بس قمحك إمنحيهم

* * *

لمعيهم ،، وضبيهم . . ولأمانك ضحي بيهم

مسخريهم، ، ، بعزقيهم . . من حقوقهم وامنعيهم

أصل لازم ترضي عنهم . . والنبي ما تزعَّليهم

موش ها ييجي يوم قريب . . يطلع الغِل اللي فيهم

هُمَّا ماتوا من زمان . . شدي حيلك، وادفنيهم

* * *

ولم يستطع "زَجَلول" أن يقول: وغضبي من شدة القهر، ثم خيم الحزن في أفق الحِمارخانة كسحابة سوداء كئيبة.



ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة أقبل "قِدرة" على رفاقه وهو يعرج ويسعل سعالاً شديدًا .

- خُد لك قرصين فيتامين "شي" . مالك يا أخينا ؟

- الحدوة ضيقة عليه، ولسه راجع دلوقتي من "الشفاخانة" . صدري تعبان قوي ونَفَسي مكتوم مع إني لا أدخن.

- من إيه دا بقى؟

- من عوادم السيارات اللي باشّمها طول النهار عمّال على بطّال، ودخان المسابك اللي جنب مكمر المدمس.

- هيَّ دي بس اللي مزعلاك. البلد متغطية بسحابة دخان بقالها مدة طويلة، ولغاية دلوقتي موش عارفين سببها مع إنه واضح وضوح الشمس.

- بيقولوا السبب حريق قش الأرز وحطب القطن.

- وانت صدقت. أما حمار بصحيح. طبعًا فيه أسباب تانية.

- إيه الفِهم الساطع ده؟!

- أنا خلاص حطيت رجليَّه الأربعة في الشق.

- من إيه تاني؟

- م الزحمة. موش عارف أمشي في الشارع. وصاحبي ما عندوش غير الكرباج يهري بيه ضهري. نفسي أبرطع مرة واحدة. طول النهار ماشي على "الأولاني"

- البلد فيها أزمة سيولة.

- زمان كان جدي يحكي إنه كان بيطلع على "الرابع" على طول، قبل الضُهر يكون مخلص مهمته.

- دلوقتي بينشف ريقي على ما نبيع قدرتين الفول والبليلة.

- إنت بتاكل فول مدمس؟

- همه البني آدمين سايبين لنا حاجة ناكلها. باكله يا سيدي بالزيت الحاااار. كل ما أجوع صاحبي يحط لي شويه. مستخسر يشتري لي برسيم أو دريس.

مرة قلت له أنا عاوز حقي ناشف. يعني شوية تبن. مزَّع ضهري بكرباجُه.

بيعمل معايا ملاعيب شيحا.

- مين شيحا ده؟

- ملاعيب "شي حا "معناها إننا نمشي لما العربجي يقول لنا "شى"، ولما

نتعب م المشي نجري لما يقول لنا "حا"..

وانخرط الجميع في الضحك.



ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة دخل "زَجَلول" "بهدوم الشغل" كئيب المظهر، نتن الرائحة متجهم القسمات.

- إيه القرف دا؟ تأفف "خَميرة".

- أنا لسه راجع دلوقتي من المنطقة العشوائية اللي باشتغل فيها اليومين دول. ما فيهاش صرف صحي. طول النهار أنزح مياه مجاري، وأخبط مشوار لغاية أطراف المدينة. أروَّح قرفان وارجع قرفان. ارحموني بقه. المعلم ها يحمِّيني وآجي أكمل معاكم السهرة.

- سمعتوا آخر خبر؟!

- لا.

- آل إيه آل ها يعملوا متحف لأبواب الأماكن الأثرية.

- أبواب بس؟! ويسيبوها من غير أبواب. سداح مداح يعني.

- إنت بتشوف مسرحيات الأيام دي ؟؟

- هو أنا حمار.

- لا يا سيدي. ها يركّبوا لها أبواب تقليد.

- ليه كل دا؟؟!!

- والله ما أنا فاهم. حد يقدر يفسر؟؟!!

- يمكن خايفين عليها لتتحرق أو تسافر برَّه وتتسرق.

- أو تستنى جوَّه وتتسلق.

- سمعتوا الأعجب.. عاوزين يلبّسوا الهرم طرطور.

- إزاي يعني ؟

- عاوزين يركّبوا له هُرَيّم صغير.

- علشان يتربى في عزُّه.

- يمكن عاوزين يستنسخوه؟!

- إزاي؟

- آل يحطوه فوقه ليلة كاملة، وبعدين الصبح يشيلوه بعد ما يحتفلوا بالألفية الثالثة.

- دي غير ألفية ابن مالك؟

- مالك انت ومال ابن مالك. كمّل يا أخينا .

- أعتقد إنهم ها يزرعوه في منطقة تانية، عشان يكبر ويرعرع ويبقى هرم كبير.

- الفرق بين الخيال والخبال نقطة واحدة.

وعادت ضحكات الحَمير تجلجل في فراغ الحِمارخانة.



ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة أقبل "زَجَلول" وهو يضرب رجلاً برجل

- شوفتوا اللي حصل؟ !

- خير انشاء الله.

- حادثة غريبة بسبب حمار شارد، سيارة تسير بسرعة جنونية قتلت شخصين وأصابت ١٤ بجروح خطيرة.

- طبعًا ها يجيبوا العيب عَ الحمار؟؟

- طبعًا .

- طب الحمار كان شارد ! ! والسواق؟

- كان شارب.

- فيه أعجب منها . واحد راكب حِمار، الحِمار جه في مزلقان و"حَرَنْ" .

- يا سلام. ودي حادثة دي؟ !

- استنى بس. البني آدم اللي راكب الحمار قعد يزغُد فيه بعصاية عشان يتحرك ويضربه بكعب رجله في بطنه، وهوه بيشتمه بأقذع الألفاظ. . شي يا حمار يا بن الـ. . .

- وبعدين؟

- ولا قبلين. فضل البني آدم يضرب في الحمار ويزغُدُه برجله، وهوَّ سامع صفارة القطر لغاية ما وصل القطر وداس الاتنين. الحمار وصاحبه.

- مين فيهم الحمار ومين صاحبه؟ !

- الله يرحمه. سيبونا من النكد. سمعتوا حكاية جحا وحماره ؟؟

- الناس ما بيعجبهاش العجب.

- إيه اللي عاجبك في الحكاية؟

- لما جحا وابنه شالوا الحمار ومشيوا بيه.

- سمعت انت حكاية جحا والملك والحمار ؟؟

- حكاية يانا أموت يا الملك يموت يا الحمار يموت.

- مين مات الأول؟ !

- جحا.

- أما حمار بصحيح ! !

- ومين أخد الفلوس؟ !

- الحمار.

- فيه نكتة عاجباني.

- قول وحياة أبوك.

- بني آدم واقف في السوق ماسك أرنب.

- ودي نكتة دي؟؟

- إستنى وانت ها تموت م الضحك.

- إطربنا ! !

- جه واحد ابن بلد مدردح وسأله.

- بكام الحمار اللي معاك.

- سلامة نظرك. دا موش حمار. دا أرنب.

- هو أنا باسألك انت. . . أنا باسأل الأرنب.

وعادت ضحكات الحَمير تُجلجل في فراغ الحِمارخانة.

ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة دخل "زغْلُول" وهو في غاية السعادة.

- خير انشالّه.

- قريت خبر النهارده عجبني قوي.

- سَمّعنا يا ريس "جحشيرة".

- خناقة وقعت مع الحكومة السويدية والسبب حمار. الحمار السويدي شريد. حمار هِيبز يعني. ومع ذلك ليس له صديق ولا صديقة. وقوانين البيئة هناك تمنع أن ينطلق الحمار وحيدًا لأن وحدته تجعله عصبيًا مؤذيًا.

- يا ضنايا!! دا الحمار في بلاد تانية لو مات حتى ممكن يسيبوه على الطريق لما تطلع ريحته أو تاكله الغربان.

- قصدك في بلاد تالتة.

- العالم التالت يعني؟

- والله فيه احترام للحمير في بعض الدول دي.

- إشجينا. قول.

- أحالت سلطات مدينة في تركيا عشرين حمارًا للتقاعد.

- معاش مبكر.

- تقريبًا.

- وليه بقى.

- لأنها قضت عشر سنين تلم زبالة من الزقاقات الضيقة اللي عربيات البلدية ما تقدرش تفوت فيها.

- المهم؟؟

- المهم إن رئيس البلدية تعهد بالتكفل بإعالة الحمير وضمان حياة لائقة بهم خلال فترة التقاعد، بعد أن خدمت البلدية بشكل مثالي.

- يا عيني علينا.. بيكرموهم في حياتهم موش بعد ما يموتوا ويشبعوا موت!!

- المهم إن التكريم عملوه في حفل خاص كرَّموا فيه الحمير العشرين بالمزيد من الأعلاف.

- أعلف لك ميت يمين. . إننا هنا احتمال نتاكل قبل التقاعد.

- فال الله ولا فالك.

- استنى يا أخينا انت وهوَّ لما نشوف آخرة حكاية حمير دول العالم الأول. وبعدين؟

- بعدين أمسكوا بالحمار الشريد وأحد المواطنين تبرع له بحمارة.

- البني آدم هوَّ اللي اختارها له؟

- أيوه.

- يبقي الحمار ها يرفضها.

- هوا دا اللي حصل بالضبط. يخرب عقلك. إنت سافرت بلاد بره ولا إيه؟.

- أحيانًا. لما كان معايا الحصانة الدبلوماشية.

- كَمِّل يا أخينا.

- المهم الحِمار الشريد ترك الحمارة المفروضة عليه، وانضم إلى مجموعة من الخيول تجوب الغابات.

- خير ما عمل. أحسن برضُه من حمارة تنكد عليه حياته. برطعت فين؟ نهقت مع مين النهارده؟

- توجد قصة أكثر غرابة. فقد حدثت مشادة أمام القضاء بين رجلين اكترى أحدهما حِمار الآخر.

- ما تتكلم عربي يا سيدي. . إيه مشادة دي وإيه اكترى؟

- ما هو بيتكلم عربي يا حِمار إنت. بس إنت يا بني اللي موش عارف. وبعدين؟

- حصلت خناقة لأن واحد استأجر حمار واحد تاني، وكان صاحب الحِمار يمشي وراءه؛ ففوجئ بأن المستأجر قد نام في ظل الحِمار بسبب الشمس المحرقة؛ فتشاجر الرجلان وهرب الحِمار.

- لازم المستأجر ما دفعش للمالك "خلو ضل".

- سبب تافه. علشان كدا القدماء جعلوا رأس الحِمار رمزًا للإله "ست" رمز الصبر والحكمة.

- يا سلام!! قول كمان يا حكيم.

- تعرف إن الحِمار كان له دور في حضارة الفراعنة.

- إزاي؟

- زمان كان الفراعنة بيبعتوا قوافل من الحَمير عن طريق وادي النيل، لتبادل التجارة مع أهل الجنوب

- يعني احنا كان لينا دور في كشف منابع النيل؟!

- ما كانش يقدر على كدا غير الحِمار.

- لغاية دلوقتي لينا دور في اكتشاف الآثار.

- زيديني شرحا زيديني.

- حِمار غفير في الواحات ماشي إتكعبل في حجر؛ فاكتشف كنزًا أثريًا.

- يبقى المفروض له العُشر.

- لا. لا. البني آدم بيهرَّب آثار بلده علشان الفلوس، أما الحِمار فيكتشف الكنوز الأثرية ولا يأخذ مكافأة.

- تسقيفة جامدة لحِمار الغفير.

- (تصفيق وتنهيق)

- أُمال بيتريقوا علينا ليه، ويقولوا إن الحمار لما يشبع يبعزق عليقته.

- الحمد لله ما عدناش بنشبع دلوقتي، نفسنا اتسدت من القرف اللي عايشين فيه.

- إذن الحِمار ليس شيئًا تافهًا. فهو صورة للملكية الفردية وإحدى وسائل المواصلات. وأداة من أدوات الإنتاج. كما كتب "أنيس منصور" ذات مرة في عاموده "مواقف".

- حلوة مواقف دي. مش أنا قلت إن لينا مواقف زي ما البني آدمين ليهم مواقف. جالك كلامي.

- بلاش "حفلطة".

- لا تنس أن أحدنا قد ظهر على غلاف كتاب بجوار توفيق الحكيم شخصيًا.

- أيوه. يوم ما خلاه يفكر ويؤلف.

- وخلاه كمان تلميذ في مدرسة ومدير شركة أعلاف.

- الحكيم كتب أنا وحماري وحمار الحكيم.

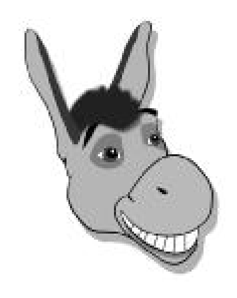
- كتب محمود السعدني حمار من الشرق.

- وقال له أشياء كثيرة.

- ماذا قال له؟

- بكره أحكي لك.

ونام الجميع وكل منهم يحلم أن تظهر صورته على غلاف الحِمارخانة. . . وقد حقق الكاتب حلم أحدهم.



ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة دخل "زَبَلُول" وهو في غاية التعجب:

- مالك. فيه إيه؟

- حاجة محيَّراني من زمان موش لاقي لها تفسير.

- فيه حاجات كتير تحير. قول وخلصنا.

- المفروض إن شهر رمضان يكون للصوم والصلاة. موش كدا ولا إيه؟

- المفروض كدا.

- تصوروا إنه أصبح شهر الأكل والسهر!!

- إزاي؟

- أولاً البني آدمين بياكلوا فيه كميات من الطعام أكبر من أي شهر تاني.

- ثانيا؟

- ثانيا بيسهروا طول الليل مع المسلسلات التلفزيونية والفوازير المملة لغاية وش الصبح.

- سمعت عن السحور الراقص؟!

- فيه الأدهى، كل الفنادق والنوادي الرياضية فيها دلوقتي خيمة رمضانية لتقديم الشيشة.

- قصدك "خيبة" وبالويبة. بدل ما يحاربوا التدخين حولوا شهر رمضان لشهر الدخان.

- تصور إنهم بينتجوا ٣٥ مليون سيجارة يوميًا يعني ١٠٣ مليار سيجارة سنويًا.

- يا نهار موش فايت. كل دا بيحرقوه.

- دا غير أنواع الدخان الأخرى.

- وبعدين يصرفوا الملايين على علاج المدمنين.

- ودنك منين يا جحا.

- سمعتوا النكتة دي.

- زهقنا من نكت البني آدمين.

- عشان خاطري اسمعوها .

- ها يصرفوا لكل طالب قرض ألف جنيه يسدده على كام سنة قولوا كدا؟

- خمس سنين؟

- أربعين سنة!!

- يعني ٢٥ جنيه سنويًا واتنين جنيه شهريًا .

- يعني يستلمه وهوَّ بيتعلم ويسدده وهوَّ بالمعاش.

- خذ الأعجب. يمنعوه م السفر تلاتين سنة ويشتري بتلتميه وخمسين جنيه منهم بضاعة محلية.

- راكدة يعني.

- راكدة على قلبه لطالون.

انفجرت الحَمير ضحكًا وفجأة قال أحدهم.

- خلينا نتكلم جد شويه. فيه قروض للحَمير؟؟

- ليه؟ !

- علشان أطبق عليهم نظرية جحا والملك والحِمار. يا أنا أموت يا الملك يموت يا الحِمار يموت.

- بقية الأقساط ها تدفعها الورثة.

- أنا ما ليش ورثة.

- موت يا حِمار.

واستكملت الحَمير ضحكها، وفجأة قال أحدهم.

- إسمعوا الحكاية العجيبة دي. واحد موظف سافر بره لمدة عام واحد، وكان عمرُه وقتها ٢٩ سنة، ولما رجع قالوا له عليك ميت جنيه تأمينات ومعاشات. تدفع ولا تقسط؟

- طبعًا طلب التقسيط.

- إستنى بس. حسبوهالُه طلع عليه شهريًا جنيه و١٣ قرش كويس؟ !

- تمام.

- كانت المفاجأة إن القسط ها يستمر لغاية سن المعاش. يبقى ها يدفع كام. ؟

- ٣١ في ١٢ في جنيه و ١٣ قرش، يعني حوالي ربعميه وعشرين جنيه.

- أربع أمثال يعني!!

- لسه، صاحبنا طلع إعارة لمدة ست سنين كان بيدفع قسط سنوي ١٣ جنيه ونص وعليهم ١٤ جنيه مصاريف استخراج الشيك الحكومي؟؟؟

- ١٤ في ٦ يساوي ٨٤ جنيه، يعني إجمالي خُمسميت جنيه.

- يعني كدا اللي ها ياخُد ألف جنيه ها يسدِّدهم خمستلاف.

- ويمكن أكتر.

- دلوقتي فهمت اللعبة، أنا موش عاوز قرض ياعم.

- المحتاج يغزل برجل حمار.

- المحتاج يصرف قرض حمار.

وانتهت السهرة، وضحكات الحَمير على أفعال البشر تزين جدران الحِمارخانة.



ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة دخل "زَبَلُول" فلم يرَ زملاءه. بحث عنهم، وقبل أن يخرج للبحث سمع سعال أحدهم. لقد اختفت الحَمير وراء سحابة سوداء قاتمة غطت سماء المدينة وغمرت الحِمارخانة.

- فين انت وهوه؟؟

- إوعى تدوس علينا لتفعصنا.

- هو أنا شايف حاجة. لِم رجليك انت وهُوَّ طيب

- إيه اللي حصل. القيامة قامت ولا إيه ؟؟

- بيقول لك قال إيه قال الفلاحين بيحرقوا قش الرُّز وحطب القطن.

- طب ما هم بيحرقوه كل سنة. إشمعنى السنة الهباب دي.

- رز إيه وقطن إيه يا حِمار إنت وهُوَّ. . تدخَّل حِمار ثالث. . دا التلوث وصل أعلى درجاته.

- الناس موش قادرة تتنفس.

- أحسن، على الله يفطسوا علشان يبطلوا دخان.

- دا موش دخان سجاير يا أخينا، دا عوادم السيارات ودخان الفواخير اللي جنبنا موش بس دخان الرُّز والقطن.

- دا غير عوادم المصانع.

- تصور بيستخدموا في الفواخير مخلفات المستشفيات، بكل ما فيها من دم وحقن بلاستيك ومخلفات عمليات.؟!

- إيه القرف دا؟

- شوفوا الذكاء. ناس تقول احرقوا وناس تقول ما تحرقوش. حاجة تحيَّر.

- موش عارفين يستغلوا موارد بيئتهم، مع إن معروض عليهم مشروعات تستغل الحاجات دي في صناعة الورق والخشب الحُبيبي.

- شوف يا حُبيبي، البني آدم عارف الصَّح فين، ومع ذلك بيعمل الغلط، ودا الفرق بين الإنسان والحيوان.

- طبعًا عارف كل حاجة بس بيستحمر. تلاقيه ما أخدش عمولة معتبرة علشان يوافق.

- يا سيدي ياخد ، بس يرحمنا من الخنقة دي.

- كل ما تروح مصلحة تقضى حاجة يقول لك الموظف: فين الشاي بتاعنا؟ أو عاوزين الحلاوة. عمرك سمعت حمار بيقول: فين التبن بتاعنا أو عاوزين العلف يا باشا.

- لغاية دلوقتي ما شبعوش شاي وحلاوة؟؟

- ها يفضل يطلب شاي وحلاوة، لما بعد كدا يجيبوله عيش وحلاوة.

- موش مهم. فيه ناس سارقة ملايين الجنيهات وبتاكل في السجن كافيار وبقلاوة.

- دا غير البهوات الحرامية اللي خدوا قروض وهربوا بيها على بره.

- ربنا يخَلِّي الحكومة.

ازدادت كثافة الدخان. فأخذت الحَمير في السعال حتى الصباح. وعندها؛ أخذها أصحابها للعلاج في مستشفى الشعب لعلاج الحيوانات، غير بعيد عن وكالة البلح.



ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة دخل "زَجَلول" منتعشًا يفرك حافريه الأماميين من السعادة والانبساط وبادر زملاءه: تحبوا تشتغلوا بره؟ !

- نطلع إعارة يعني؟

- أيوه.

- فين؟

- أفغانستان.

- ليه بس كدا حرام عليك. . عاوز تِخلص منا ولاَّ إيه، ولاَّ يمكن عاوز تحتل الحِمارخانة لوحدك؟ !

- صبركوا عليه يا جماعه. دي مهمة إنسانية. مطلوب أربعتلاف حِمار للسفر فورًا لأفغانستان في مهمة إنسانية عاجلة.

- خير ! !

- الدنيا كلها بتضرب في أفغانستان، والطيارات اللي بترمي القنابل هي برضُه اللي بترمي المعونات الغذائية.

- أقطع ديلي إن كنت فاهم حاجه!!

- ها أفهمك يا حِمار.

- شوف. العالم كله اتحد ورا أمريكا لضرب قواعد الإرهاب، كويس؟

- لغاية كدا كويس. وبعدين.

- أفغانستان اللي بتنضرب بالصواريخ الذكية والقنابل العنقودية شعبها فقير دُقه ومحتاج للمعونة. والمعونة بترميها الطيارات. وعشان المعونة توصل للناس قبل ما يموتوا مطلوب نقلها. ولما كانت أفغانستان أرضها وعرة ما فيش غيرنا اللي ينفع ينقل المعونة.

- والألغام؟!!

- ما هي المعونات بعد ما تترمي الناس ها تروح تاخدها. وبكدا تِتعرف أماكن الألغام. إحنا بقى ما نروحش الأماكن دي.

- برافو عليك. بس اللي أنا عاوز أفهمه. بيضربوها ليه؟؟

- بيحاربوا الإرهاب.

- واللي هُمَّ بيعملوه تسميه إيه؟

- تأديب وتهذيب وإصلاح ومنتهى الديموقراطية.

- أفهم وحياتك.

- النظام العالمي الجديد دلوقتي معناه إن اللي موش مع الفتوة الوحيد في الدنيا يبقى ضده.

- يعني الفتوة دا هُوَّ اللي متحكم في العالم دلوقتي!!

- تمام، والعالم كله لازم يسمع كلامه، ويمشى وراه.

- واللي يحرِن؟

- ما فيش غير الكرباج.

- إزاي؟

- يتحط في القايمة السودا، ويُمنع من الصرف، وينتظر دوره في جدول الضرب.

- قلت لكم يا جماعة الحِمارخانة أأمن.

- ما فيش مكان بعيد عن صواريخ الفتوة.

وهنا اندفع "زَجَلول" قائلاً:

صاروخ مغادر سفينته . . عارف ها ينزل فين

لكن اللي عمرُه ما عرفه . . هُوَّ ها يقتل مين

صاروخ وغادر وقاتل . . ينزل على النايمين

ينهي حياتهم في لحظة . . ويفرّح الظالمين

يرجع أخوه بعد ساعة . . يبحث عن الباقيين

شاقق إليهم طريقه . . يهجم في طرفة عين

يبعت قنابله شظايا . . تمسيع النايمين

ما تسيبشي حته سليمه . . أو أي ناس حيين

وغضبي

ثم انخرطت الحَمير في عويل طويل، ونامت وهي تلعن العولمة والنظام العالمي الجديد.

ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة عاد "زَبَلُول" قرب منتصف الليل مكدودًا ، وما أن ألقى بجسده المنهوك على أرضية الغرفة حتى بادره "زغْلُول" بالسؤال :

- كنت فين . قلقتنا عليك .

- في شارع صلاح سالم بقالي ست ساعات .

- ليه؟

- كان فيه زفت ماتش كورة .

- وإيه يعني ، ما الماتشات على ودنه . هو فيه اهتمام غير بالكورة ولعّيبيتها ! !

- أصلك ما تعرفش ، المنتخب خرج من تصفيات كاس العالم .

- يا عالم ! ! هُوَّ فيه عندنا كورة؟ !

- عندنا ، بس ما عندناش دم ، لأن إعلامنا ما لوش شغلانة غير الفريق الأبيض والفريق الأحمر .

- أحمر من كدا ما تلاقيش .

- بس يا أبيض .

- اسم الله عليك يا مخطط .

- إتنيل انت .

- تعرف ، إحنا نقدر نلعب كورة أحسن من لعّيبة المنتخب .

- إزاي . ؟

- هُمَّ بيلعبوا برجلين بس إحنا نلعب بأربعة .

- أنا رأيي يعملوا فريق مننا يلعبوا معاه مباريات تجريبية .

- دا إحنا نقطع نفسهم .

- نفسهم مقطوع طبيعي ، ولياقتهم أقل مننا بكتير .

- اللي محيرني إن اللي بيغلط فيهم يقولوله : يا حمار .

- عاوز أنام . . قال "زَجَلول" .

- موش ها تنام إلا لما تقول لنا شعر.

- الصباح رباح.

- ها نفضل ننهق للصبح وموش ها تنام.

- أمري لله. إسمعوا:

يا ريتك لِعبت .. وخرجت بشرف
ما كُنا ابتُلينا .. بذاك القرف
فضيحة بجلاجل .. ذاعتها الإذاعة
وجت في الجرايد .. مِسا ، ومقتطف
وتلفاز بلدنا .. انطوى، وانخسف
وجمهور حزين .. انزوى، وانكسف
مدرب طواه .. الزمان من زمان
ومن مال بلدنا .. اغتنى واغترف
ولعيبه خايبه .. تجر ف شكاير
ودوري انزراعي.. مصاب بالتلف
دا هوَّ امبراطور.. وهذا الغزالُ
ودا راح أوربا .. وذاك احترف
فريق نص لبّة .. في لعبة انجرف

في أول مواجهة . . ارتعد ، وارتجف

بكورة "مامومبا" . . بانت كل حاجة

في لحظة سريعة . . قوام انكشف

ويا ريته ياخويا . . بخيبته اعترف

حرقت دمانا . . يا شيخ جاك قرف

- هو المنتخب بس . . . وإيه رأيكو ف صفر المونديال . ؟

- كان لازم ناخد صفر لإننا ما نساويش غيره .

- طب خدوا دي بقه أنأح م اللي فاتت . قال "زَجَلول" :

اللي حصل . . واللي جرا

لا ينكتب . . ولا ينقرا

من غير سؤال . . يا هلترى

ليه خدنا . . نمرة مدوّرة؟

لا بنحترم . . أبدًا قانون

وكل حاجة . . مبرَّرة

فِ الفهلوة . . والنأورة

ما تلاقي زينا . . فِ الوَرى

أفكارنا هايفة . . مبعترة

شوراعنا زحمة . . معفرة

دا احنا بلد . . متأخرة

وأمورها يابا . . مدهورة

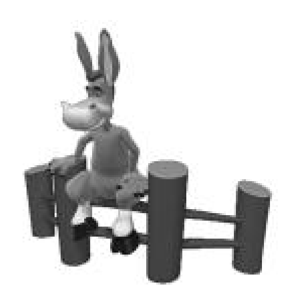
وتمللي ترتيبنا . . ورا

ويحق لكْ . . أن تفخرا

وانتفخرا . . وانتفخرا

وهنا اندفعت الحَمير نحو "زَجَلول" وحملته على الأعناق هاتفة:

بُص شوف زيجو بيعمل إيه. ثم طرحته أرضًا يتلوَّى من الألم بينما الباقون يقهقهون.



ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة عاد "زَبَلُول" من عمله؛ فوجد رفاقه وقد انكفأ كل منهم في أحد أركان الغرفة وكلهم إما باكٍ أو نائح. عندها اكتشف أن ما خاض فيه من ماء لدى دخوله لم يكن سوى دموع الرفاق فقال:

- عرفتوا اللي حصل لازم؟

- وهل يخفى "الخبر" ! !

- كارثة بالمعنى الحقيقي.

- آدي آخرة السكة "الحضيض" .

- بالذمة دا كلام! عربية الكسح اللي باجُرها أنضف من عربيات الدرجة التالتة.

- بعضهم قال إنها لا تصلح حتى لركوب الحيوانات.

- الحيوانات في العيد أهم من البشر. الناس مهتمة بالخرفان.

- تصوروا : لحم البشر أرخص من لحم الخرفان.

- إزّاي؟

- كل مسافر متفحَّم دفعوا فيه تعويض تلات تلاف جنيه. . يعني لو وزنه ميت كيلوجرام مثلاً. يبقى الكيلو منه بكام؟

- تلاتين جنيه.

- يا بلاش. دا كيلو الكباب بخمسين وستين وبتمانين جنيه،

- موش قلت لكم لحم البشر أرخص.

- المشكلة موش في أرخص أو أغلى. دي موش أول ولا آخر كارثة. المهم حَلوا الموضوع إزاي؟

- فاكرين قطْر كفر الدَّوار؟؟

- موش ناقصين نكد وحياتك. خلونا في الكارثة دي وبعدين ننساها زي ما نسينا كارثة قطْر كفر الدوار.

- حَلوها يا سيدي بإنهم غيروا رئيس مجلس الإدارة.

- جابوا مين. ؟

- نائب رئيس مجلس الإدارة اللي شالوه.

- شكرًا. فهمنا.

- مَن لم يمت "بالقطْر" مات بغيره.

- طبعًا. أوعوا تنسوا نزيف الأسفلت.

- أكبر معدلات حوادث الطرق عندنا.

- ستاشر شهيد وستين جريح ومعاق يوميًا. وخدوا بالكو من يوميًا دي.

- يعني ستلاف قتيل و خمسة مليار جنيه سنويًا خسائر مادية وعلاج.

- تصورا، يوم عبور القنال في شهر أكتوبر عام تلاتة وسبعين استشهد ألفين وسُبعميت شهيد.

- في الجنة نايمين. العدد دا دلوقتي بيموت في خمسْتُشهُر ونص بس!

- باين إحنا اللي ما بنعرفش نركب، زي ما قال حمدي قنديل.

- النهارده شفت كاريكاتير لذيذ في جرنان.

- كان عن إيه. ؟

- فرح ومزيكا وناس بتهني ناس.

- ليه وصلنا كاس العالم. ؟

- تف من رجلك.

- آل إيه واحد سافر الصعيد رايح جاي وما ماتشي ! ! !

- فعلاً. الناس ما تعرفش أصول السواقة. حاول تفوت من ميدان الجيزة في رمضان ! !

- أقطع ديلي لو عرفت.

- هُوَّ ميدان الجيزة بس ! . شوف العبقرية. شارع القصر العيني كان اتجاهين، وفيه شوية مشاكل. عملوه اتجاه واحد زودوا المشاكل. هاهاها.

- مُمكن يعملوه بعد كدا نص اتجاه.

- إزاي يا فصيح. ؟

- يطبقوا عليه نظرية اللي يروح ما يرجعشي.

- تقصد اللي داخله مفقود، واللي خارج منه مولود.

- ما توديناش في "داهية". !

- إمبارح كنت هناك. الإشارة وقفت نص ساعة. عربية إسعاف على بُعد ميت متر من باب الطوارئ وفيها مريض.

- وبعدين. ؟

- بعد ألف سارينا وكلاكس الإشارة فتحت.

- دخلت السيارة باب الطوارئ!

- لأ. طلعت على ميدان التحرير.

- ليه بقَى؟!

- يجهزوا المريض علشان يخرج من جامع عمر مكرم.

وانخرطت الحَمير في بكاء مرير.



ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة دخل "زَبَلُول" على رفاقه وهو في غاية التعجب قائلاً :

- مزبلين يا جماعة.

- داهية تقرفك. دي تحية دي؟ ! !

- ماتتوش واخدين بالكم. فيه حاجة حصلت تخليك تقول مزبلين يا جماعة بدل ما تقول منورين.

- وإيه هية يا ناصح؟؟

- ربطوا الزبالة بالكهربا .

- يعني ها يبقى فيه زبال بالكهربا ، زي الغسالة اللي بالكهربا ؟

- لا يا فالح. دول ربطوا فاتورة الزبالة بفاتورة الكهربا .

- حد يربطني أنا قبل ما أنط ف كرشه.

– صدقوني يا جماعة أنا با تكلم جد. يعني على قد ما تستهلك كهربا تدفع فاتورة جمع الزبالة للحكومة، وهي تتولَّى جمعها.

– يعني الناس بدل ما ترمي زبالتها في أي مكان في الشارع ترميها تحت عواميد النور؟!

– ولا يمكن ها يركبوا لكل صندوق زبالة عمومي عداد. هاهاها.

– إبسط يا عم "زَبَلُول" ها تبقى مكهرب.

– فال الله ولا فالك.

– طيب واللي بيسحب كهربا قليلة وزبالته كتيرة يحاسبوه ازاي؟!

– زي ما ها يحاسبوا اللي بيسحب كهرباء كتير وزبالته قليلة.

– بالذمة دا كلام.

– أنا أعرف واحد بتاع فراخ طول النهار شغال، ويزّبل قدام المحل.. وبعد منه بشوية محل جواهرجي.. تفتكروا مين دفع فاتورة أكبر؟؟

– قول يا ناصح.

- تصوروا الجواهرجي اللي ما فيش في محله زبالة. . يدفع ١٢٠ جنيه والفرارجي اللي مزبل الشارع يدفع عشرة جنيه.

- الأعجب إن البني آدمين سرقوا صناديق الزبالة البلاستيك وعملوها . .

- عملوها إيه. ؟

- واللهِ مكسوف أقول.

- كل حاجة بقت تكسف. . قول.

- عملوها تلاجات للحاجة الساقعة. . جتهم القرف.

وهنا صاحت الحمير كلها : وقرفي.



ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة فوجئَت الحَمير بأمر غريب يحدث لأول مرة. فبعد عودتهم متأخرين جميعًا بسبب أزمة المواصلات، وتجمعهم مصادفة أمام باب الخمار خانة سمعوا صوتًا رقيقًا ينبعث من داخل مقر إقامتهم. وعند دخولهم وجدوها. أتان بيضاء صغيرة السن يعلو رأسها تاج من الريش الملون، ويتدلَّى من رقبتها عقد من الورد، وعلى ظهرها "بردعة" مزركشة.

اضطرب الجميع وتلعثم فصيحهم:

- أهلاااان وسهلااان الحِمارخانة نوَّرت. . قال "زَجَلول" :

- كنت فاكرك ها تقول زبِّلت. كنت رفصتك برَّه. عقَّب "زَبَلُول" :

- ليلتنا أُنس وجلجلة. قال "قِدْرة" محييًا بينما ظهر الخجل على وجه "خميرة" :

- قول حاجة يا أخينا . وجه "زَجَلول" كلامه إلى "زغْلُول" :

- أحب العنب البناتي. حضرتك منتظرة حد ولاَّ إيه؟؟ سأل "زغْلُول" ضيفتهم.

- لا. الليلة دي بس أنا مضطرة أبات هنا ، وبكره الصبح رايحة مطروح، أزور قرايبي وأعمل لي قرشين في موسم الصيف.

- صيف مين يا جميل. الهوا في الحِمارخانة يرد الروح. عقب "زغْلُول" .

وفجأة توقفت الحَمير عن الكلام بعد أن ظهرت مشكلة. فأماكن المبيت تكفي خمستهم ولا يوجد مكان للأتان. التقت الرؤوس بعيدًا عن الضيفة وبدأت الهمهمة:

- باقول إيه. الضيفة دي لازم تنام نومة مُريحة. إيه الحل يا جماعة؟ سأل "زَبَلُول" زملاءه.

- نسيب لها الحمارخانة ونبات بره كلنا . أجاب "قِدْرة" .

- إنت حمار؟!! برد الصيف أحدّ من السيف، عاوزنا نموت م البرد .

قال "زغْلُول" :

– الدفا عفا .

أردف "زَجَلول" وفي عينيه نظرة ذات مغزى.

– ممكن أقترح حلاً. تدخَّل "خميرة" مقاطعًا . واحد مننا بس يبات بره نحل المشكلة.

– ومين هُوَّ يا فالح؟

– أنا شايف إن واحد بس مُرشح لذلك، لأن ريحته موش كويسة.

– أدرك "زَبَلُول" مغزى كلام "خميرة" فنظر من زاوية عينيه إلى الأتان، وقال: أنا موش مرشح لذلك أنا مرشح نفسي للانتخابات.

– انتخابات إيه يا نيله انت؟ .

– انتخابات المجلس. وحياتكو ما حد ها يعرف يكلمني بعد كدا .

ورويدًا رويدًا أخذ كل حِمار يعدد مناقبه؛ لجذب انتباه الأتان. ولأول مرة منذ بدأت ليالي الحِمارخانة يُسمع صوت استعداد الحوافر "للرفص" .

وهنا اندفع "زَجَلول" منشدًا :

حبة حَمير واتجمعوا . . حوالين حِمارة سمينة

لفوا وراها وداروا . . جوا حواري المدينة

مشوا في ديلها ليالي . . وقالوا لها : ما تأزمينا

إختاري واحد يا حلوة . . إختاري أجدع ما فينا

قالت يا ريت يا جماعة . . ونقضّي ليلة ف جنينه

ف لحظة هربوا وزاغوا . . وسابوها واقفة حزينة

وغضبي

- قريت لكو حاجة حلوة قوي.

- خير!

- فيه حزب جديد للحمير.

- مين اللي عمله؟

- سليمان الحكيم.

- وعرفت منين؟

- م الإنترجحش. دا بقى حوار عن الحمار كتبه سليمان الحكيم. . اقتبستلكم جزء منه:

- دا أخو توفيق الحكيم؟

- والله يا بني ما اعرف.

- المهم. هات ما عنده.

- خُذ يا سيدي: "ولأنني شديد الإعجاب بالحمير، فضلاً عن إعجابي طبعًا بالنظام الديمقراطي، ولأنني أيضًا واحد من هذا الشعب الذي يحمل على ظهره كل تلك الأثقال التي يضعها الأسياد حِملاً عليه. فقد فكرت في تشكيل حزب يتخذ الحِمار شعارًا له. وحتى يكون الشعار مطابقًا للبرنامج الذي أعددته؛ فقد قررت أن يكون اسم الحزب الجديد حزب الحمير واختصاره (ح. ح.) أو (حا. حا.) وهو اختصار رأيته مناسبًا، حيث إن الأوامر التي يصدرها السيد لحماره تتلخص في كلمة حا!!

وما إن انتهيت من اختيار اسم الحزب الجديد.. وبرنامجه حتى سارعت إلى أخلص أصدقائي لأطلعه على مشروعي السياسي الذي سيقلب موازين الحياة الحزبية في طول البلاد وعرضها. ولم أكد أنتهي من شرح المشروع لصديقي؛ حتى قام من فوره، ودخل إلى إحدى غرف بيته وخرج منها برزمة من الأوراق، قدمها لي طالبًا مني الإطلاع عليها. وإذْ بي أجد عنوانها مشروع برنامج حزب الحمير. فنظرت إليه مندهشًا فقال لي:

- لقد فكرت فيما فكرت فيه أنت. وقد أقمت الحزب فعلاً. وعندي عدد لا بأس به من الأعضاء، الذين وقَّعوا أمامي على استمارة العضوية بالحزب. فسألته:

- ولماذا لم تعلن عنه في الصحف؟ أو تتقدم به إلى لجنة الأحزاب؟ . . فقال:

- نحن حزب في طور السرية. وأنا أدعو سرًا للحزب منذ أكثر من عام. فقلت له:

- لماذا لم تدعُني وأنا صديقك. ؟ فقال:

- أولاً لأنك ذكي وبتفهم. وهذا الحزب قاصر على الأغبياء والحمير فعلاً. ولا مجال عندنا للذين يفهمون ويتناقشون ويتحاورون من أمثالك. . نحن لا نقبل إلا الذين يعملون حسب تعليمات وتوجيهات السيد العربجي ! !

وأخذت أدافع عن نفسي أمامه، لعلني أجد مكانًا في الحزب الذي أمضيت الأيام والليالي في الإعداد له. فإذا بي أرى نفسي خارجه، ولا أصلح حتى للانضمام إليه مجرد عضو يتمتع بالعضوية العادية.

قلت له:

- من أين حكمت عليَّ بالذكاء والفهم؟ فلو كنت كذلك فعلاً لفهمت أسباب ما نحن فيه الآن؛ فأنا لا أفهم لماذا نحن متخلفون حتى عن المتخلفين أو الذين كانوا كذلك؟ ولماذا أصبحنا أفقر من الفقراء.. وأذل من الأذلاء.. وأضعف من الضعفاء..؟ وأنا لا أفهم كيف ولماذا يأتي الوزراء عندنا؟ وكيف ولماذا يخرجون؟ ولا أعرف كيف نكون دولة فقيرة وتتصرف تصرف وسلوك الدول الغنية؟ ولا أعرف كيف نقف على قدمينا حتى الآن وفينا كل هذا الفساد؟ ولا من أين يأتي اللصوص بأموالهم؟ ولا أين يذهبون بها؟ أرجوك اقبلني حتى ولو عضوًا. أو فرَّاشًا في مقر الحزب. فقال صديقي:

- إن إجراءات القبول عندنا ليست سهلة، ولا مجال فيها للعواطف. هناك اختبارات يجب أن تؤديها لنرى مدى صلاحيتك للانضمام إلينا.

- أنا تحت أمرك.. اسألني. واختبرني كما تريد.

- طيب.. عندنا دولاب طويل وعريض. ونريد إخراجه من غرفة ليس لها سوى باب صغير. فكيف نخرجه؟

- نفك الدولاب، ونخرجه قطعة قطعة، ثم نعيد تركيبه خارج الغرفة.

- ألم أقل لك إنك ذكي، ولا تصلح للانضمام لحزب الحمير؟

- ما الحل الذي تراه يا كبير الحمير!

- نهدم أحد الحوائط، ونخرج الدولاب، ثم نقوم ببناء الحائط مرة أخرى!

- عظيم يا كبير الحمير!

- إليك بسؤال آخر.

- هات ما عندك.

- كيف نعالج مشكلة الزيادة السكانية؟

- بتنظيم الأسرة. ومنع الحمل. وزيادة الوعي. ورفع مستوى المعيشة للمواطنين.؟

- لا. هذا عمل الأذكياء، أما عندنا في حزب الحمير فنحن نعالج المشكلة السكانية باستيراد المواد المُسرطنة واللحوم الفاسدة. ووسائل المواصلات المتهالكة كالقطارات وغيرها. وكل ذلك وغيره سيساعد على حصد العديد من أرواح المواطنين، دون حاجة للصرف على وسائل تنظيم الأسرة أو رفع مستوى المعيشة.

- عظيم يا كبير الحمير!!

- وكيف تحل مشاكل الصحة؟

- بالقضاء على أسباب المرض؛ من فقر وجهل وتدني الأحوال المعيشية لدى المواطنين.

- كلا.. هذا أسلوب ذكي. أما عندنا في حزب الحمير. فنحن نترك الفقر والجهل وتدني الأحوال المعيشية، وتفشي الغلاء. ونترك المرضى يمرضون كما يحلو لهم؛ فنحن ديمقراطيون ولا نريد أن نحرم أحدًا من المرض الذي يختاره بنفسه. وكلنا نواجه المشكلة ببناء المزيد من المستشفيات دون الحاجة للصرف على رفع مستوى المعيشة والقضاء على الفقر والأمية. ويعني مثلاً لو أن هناك مطب في أحد الشوارع تتكرر بسببه حوادث السيارات التي تودي بحياة المواطنين؛ فهل نعالج المطب ونزيله؟.. كلا.. بل سنترك المطب كما هو، ونضع سيارات الإسعاف بجواره لتحمل القتلى والمصابين إلى المستشفيات القريبة. أو نبني مستشفى للحوادث بجوار المطب. حتى نوجد عملاً للأطباء والسائقين والممرضين. وهكذا نحل مشكلة البطالة. كما نحل مشكلة المطب الذي يتسبب في الحوادث!

- عظيم يا كبير الحمير!!

- كيف تحل مشكلة التعليم وزيادة الكثافة بالفصول؟ !

- ببناء المدارس وتأهيل المدرسين !

- لا . . بل باضطهاد المدرسين ورفع شعار امسك مدرس، بحجة التورط في إعطاء الدروس الخصوصية. فتكون النتيجة أن يهمل المدرس في مدرسته، ولا يقوم بواجبه كما ينبغي. فيتدنى مستوى التلاميذ. وهكذا يجد المدرسون المبرِّر المنطقي لإعطاء الدروس الخصوصية خارج المدرسة لدى أولياء الأمور. فيسارعون مهرولين برجاء المدرسين إعطاء أبنائهم دروسًا خصوصية لا يقدر عليها إلا القادرون. أما غير القادرين فينسحبون من الساحة، ويتركون التعليم والمدارس خاصة أنها في نهاية الأمر تؤدي إلى نفق البطالة والعطالة. وهكذا تخلو المدارس والفصول إلا من القادرين وحدهم؛ فتقل كثافة الفصول. بل ويقل الإقبال على الالتحاق بالمدارس؛ فيزيد عدد الحمير. وتزيد فرصتنا في كسب التأييد عند إجراء الانتخابات، وضمان تسيير الأمور في الاتجاه الذي نريده تحقيقًا لمصالحنا ! !

- عظيم يا كبير الحمير ! !

فقال وقد بدت عليه مظاهر الخُيلاء والإعجاب بالنفس:

- أرأيت أن حزبنا يقدم رؤية متكاملة وفكرًا جديدًا لا يقدر عليه إلا أمثالنا؟!

- فعلاً يا كبير الحمير.. هذا فتح مبين في العمل السياسي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

- نعم.. نعم. إن حزبنا يرفض الأفكار التقليدية. ليكسب كل الرافضين والمضطهدين والمقهورين.. ومهدودي الدخل!!

- وهل ستشكلون جبهة للرفض مع بقية الأحزاب الأخرى، لتشكيل حكومة ائتلاف وطني؟

- وما حاجتنا للأحزاب الأخرى حتى لو كانت رافضة؟!

- وكيف ترون الحل للمشكلة الفلسطينية؟

- نحن وإسرائيل "كويزين" قوي!!

- لا أفهم.

- إذا لم نكن قادرين على تذويب الإسرائيليين فينا. فنذهب نحن لنذوب فيهم. ونصبح نحن وهم في نفس الحظيرة!!.. في كويز واحد!!

- عظيم عظيم. . وماذا عن العراق؟

قال: العراقيون أذكياء. وآدميون. . ونحن لسنا معنيين إلا بالمشكلات التي تعاني منها فصيلة الحمير فقط.

- وبقية المشكلات العربية؟

- نحن أعضاء في العربخانة. كما أننا سننادي بتفعيل دورنا في منظمة الأمم المتحدة!!

- ودوركم في حل مشكلة النظافة؟

- يقتصر دور الحمير على الوساخة والقذارة فقط، أما النظافة فقد تركناها للشركات الأجنبية. فلماذا نوسخ أيدي مواطنينا في جمع القمامة؟!

- ومشكلة البطالة؟

قال: سنزيد من إنتاج المشكلات التي تحتاج إلى أيدٍ عاملة، وبذلك نفتح الأبواب لتوظيف المزيد من العاطلين. . بإنتاج المزيد من المشكلات والأزمات!!

- عظيم. . عظيم يا كبير الحمير!! وهل ستغيرون الدستور والقوانين بمجرد وصولكم للحكم؟

- نحن الذين نتحكم في الدستور وليس الدستور هو الذي يتحكم فينا . وقد أذلنا الآدميون حين كانوا في السلطة. . ولن نغير الدستور لنتمكن من إذلالهم كما أذلونا . الدستور جُعل لحكم الآدميين والأذكياء ، أما نحن فلنا دستورنا القائم على رفض أي إصلاح! !

- أنا عندي حكاية تانية .

- خليها لبكره. عايزين ننام .

وهنا هتفت الحمير : "يا حكيم يا حكيم . . كل كلامك والله سليم . "



ولما كانت الليلة التالية من ليالي الحِمارخانة أقبل "زَجَلول" وهو يتصبَّب عرقًا. وما أن ألقى بجسده المنهك في المكان المخصص له حتى اجتمعت حوله بقية الحمير، مطالبة إياه بقص القصة التي وعدهم بها البارحة. وبعدما التقط أنفاسه قال:

- يُحكى أن حِمارًا دخل مزرعة كبيرة، وأخذ يأكل النباتات المزروعة قبل وقت قصير من موسم حصادها؛ فأسرع صاحب المزرعة نحوه حاملاً عصًا طويلة تنتهي بقطعة كبيرة من الخشب كُتب عليها: كفاية!!! اخرج يا حمار من مزرعتي.. ووقف في مواجهة الحمار، رافعًا اللافتة عاليًا وظل هكذا طول النهار.

- وبعدين؟

- لم يخرج الحمار، فاعتقد صاحب المزرعة أن الحمار ربما لم يفهم ما كُتب على اللوحة، فعاد إلى منزله ليفكر في حل جديد.

- وما هو هذا الفكر الجديد الذي وصل إليه. ؟

- في الصباح التالي صنع عددًا كبيرًا من اللافتات، ونادى أولاده وجيرانه وأهل قريته، ووقفوا جميعًا في طوابير وهم يرفعون اللافتات ويغنون أغنية (أخرج يا حمار من مزرعتي)



- وآخرتها؟

- عملوا دايرة حوالين الحمار، بدأت تدور وتغني أغنيتها والحمار يهز أذنيه طربًا ويستمر في أكل المزروعات.

- يا بجنه. وبعدين؟

- غربت شمس اليوم التالي، وتعب الناس من الوقوف والهتاف، والحمار لا يتوقف عن القضم والهضم، فعادوا إلى بيوتهم ليفكروا في طريقة أخرى.

- أكيد عملوا مؤتمر عاجل لمناقشة القضية.

- تمام. وضعوا خطة جديدة لإخراج الحمار، بعدما لاحظوا أن الزرع أوشك على الضياع.

- وإيه كانت نتيجة القمة العاجلة دي؟

- الجحش مقابل الغذاء؟؟؟

- لأ. خرج صاحب المزرعة باختراع جديد؛ فأحضر نموذجًا خشبيًا لحمار يشبه إلى حدٍ كبير الحمار المستحمر الذي فشلوا جميعًا في إخراجه من المزرعة.

- حمار مآتة؟؟

- حاجة زي كدا. وأمام الحِمار سكبوا البنزين على النموذج الحميري، وأحرقوه؛ فنظر الحمار إلى النار وابتسم في خبث ثم واصل التهام المزروعات بلا مبالاة.

- الموضوع دا باين مالوش حل.

- لآ. ليه. أرسلوا عمدة القرية ليتفاوض مع الحمار؛ ففشلت الجلسة الأولى.

- وبعدين. خلصنا!!

- في الجلسة التانية أبلغ العمدة الحمار بأن صاحب المزرعة مستعد للتنازل له عن جزء من مساحتها، والحمار يأكل ولا يرد.

- إيه رأيك في تلت المساحة.؟ والحمار يأكل ولا يرد.

- طب نصها.. والحمار يأكل ولا يرد.

- أقول لك: حدد انت يا سيادة المستحمر المساحة التي تريدها. فرفع الحمار رأسه بعد أن شبع من الأكل ومشى الهوينَى نحو الترعة ليشرب بالهنا والشفا.

- والله حمار جدع.

- بس مستحمر. وبعدين؟

- في الناحية التانية من المزرعة جلس يفكر، وهو ينظر إلى العمدة وصاحب المزرعة وهم ينتظرون بلهفة قراره النهائي

- وأخيرًا؟

- وأخيرا وافق الحمار، فاندفعت جماهير القرية تهنئ صاحب المزرعة بأفكاره والحمار المستحمر بحكمة قراره.

- يا سلام.

- ما هو دا اللي بيسموه (الجحش مقابل السلام)

- حلوة خطة الطريق دي؟؟

- وبعدين؟

- وبعدين بدأ صاحب المزرعة ـ بمساعدة جيرانه ـ في عمل جدار عازل ليقسم المزرعة إلى قسمين. قسم للحمار وآخر لأصحاب الدار.. الأحرار.. وفجأة....

- فيه إيه تاني؟؟

- ساب الحمار القسم بتاعُه، ودخل قسم صاحب المزرعة، وأخذ يأكل ما تبقى من نباتات؛ فعاد الكل مرة أخرى إلى الشجب والإدانة واللافتات والمظاهرات..

- ما فيش فايدة.

- ليه كدا بس؟ !

- ما كان حل كويس ! !

- الحمار يا خوانا موش من حمير المنطقة، وعنده عقيدة حميري أنه جحش بلا أرض، عاد لأرض بلا جحش.

- حمار موعود ! ! والخلاصة؟؟

- فكر صاحب المزرعة أن يترك مزرعته بكاملها للحمار، ويذهب إلى قرية أخرى؛ ليؤسس مزرعة جديدة ولكن. . حدثت المعجزة

- إرحمنا، قول.

- أمام دهشة كل أهل القرية الذين خرجوا جميعًا للمشاركة في المحاولات اليائسة لإخراج الحمار، انتفض طفل صغير وخرج من بين الصفوف، وفي يده حجر ودخل إلى الحقل، وتقدم بكل شجاعة نحو الحمار المستحمر، وألقى الحجر على مؤخرته. . فإذا بالحمار ينهق مذعورًا، ويركض خارج الحقل.

وهنا هتفت الحمير. . تعيش انتفاضة أطفال الحجارة. . تعيش انتفاضة أطفال الحجارة.

ولما كانت الليلة الأخيرة من ليالي الحِمارخانة دخل "قِدرة" حاملاً قارورة كبيرة مملوءة بعصير البرسيم. شرب الجميع حتى ثملوا.

- اليوم يا إخواني نحتفل بنهاية القصة. مالك زعلان ليه. موجهًا كلامه لـ "زَجَلول"؟

- أصل كاتب الرواية ها يوحشنا.

- الراجل دا دمه خفيف، وفاهمنا كويس.

- دا ابن نُكتة.

- بس شايل هم الدنيا برضُه.

- مالك متأنزح كدا ليه؟ سأل "زغْلُول" "زَبَلُول" عامل كدا زي ولاد الذوات.

- أصله من صفوة الحَمير.

- أيوه يا سيدي. أنا ابن ذوات الأربع.

وانفجر الجميع في الضحك.

- اليوم خمر وغدًا أمر. قالها "خَميرة" متجهمًا، ثم أفرغ ما في كأسه في جوفه دفعة واحدة.

- ما فيش شوية تبن "نمز" بيهم؟؟

- أنا زعلان.

- ليه؟

- ليه ما لناش جوازات سفر؟

- إحنا بنتركب موش بنركب.

- طول عمرنا مغلوبين على أمرنا. مركوبين على ضهرنا.

- يا حَمير العالم ارفضوا. ارفضوا.

- قرايبنا المخططين في جنوب إفريقيا عايشين آخر هنا. العُشب هناك على ودنه؛ طبيعي ما فيهوش كيماويات.

- إحنا ما لناش مشاكل مع بعضنا . مشاكلنا مع البني آدمين أساسًا بسبب مشاكلهم مع بعضهم .

- يا حمير العالم ارقصوا .

- لازم نغيّر وضعنا .

- يا حمير العالم نهقوا . قهقهوا .



نامت الحَمير وقد قررت أمرًا . وفي فجر اليوم التالي فوجئ سكان منطقة الحِمارخانة بخروج خمس عربات "كارو" يجر كل واحدة منها رجل، ويقودها حِمار ممسكًا في يده كرباجًا يلهب به ظهر الرجل، وهو يصيح بأعلى صوته: شي يا بني آدم.



عن: فرج حسن – جريدة الأهرام – الثلاثاء ٦ يناير ٢٠٠٧ – بتصرف

تمت بحمد الله





(+2) 02 27270004 / (+2) 01288890065

www.shams-group.net